القوامة

وأثرها في استقرار الأسرة



:: تأليف ::

عبدالحميد بن صالح الكراني

:: تقديم ::

فضيلة الشيخ

د.سعيد بن مسفر القحطاني



ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكراني، عبد الحميد صالح

القوامة/ وأثرها في استقرار الأسرة/ عبد الحميد صالح الكراني - الرياض، ١٤٣١هـ

١١٢ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٧ - ٤٩٤ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ - القوامة (فقه إسلامي) ٢- التربية الإسلامية

٣- الأسرة في الإسلام أ- العنوان

ديوي ٣٧٧،١ ١٤٣١/٢٠٥٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٠٥٣

ردمك: ٧ - ٤٩٤ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

فروع دار القاسم

جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١

بريدة: هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١

خميس مشيط: هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

موقعنا على الانترنت: WWW.dar-alqassem.com

البريد الالكتروني: Sales@dar-alqassem.com

القِوامة
وأثرها في استقرار الأسرة

تأليف

عبد الحميد بن صالح بن عبد الكريم الكرَّاني

المشرف العام على الشبكة الفقهية

www.feqhweb.com

تقديم فضيلة الشيخ

د. سعيد بن مسفر القحطاني


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، وعلى ضوء صلاحها وتماسكها وقوة بنائها وسلامة قيادتها يتحدَّد مصير المجتمع ؛ ولذا لا غرابة في أن نلمس العناية العظيمة والاهتمام البالغ الذي حظيت به الأسرة في ظل تعاليم ديننا الحنيف وشريعتنا الغرَّاء .

والأسرة تمثل مملكة مصغرة يدير شؤونها ويشرف على قيادتها ورعايتها الرجل ؛ باعتباره الأقدر على تحمل تلك المسؤولية ؛ بما زوده الله به من قدرات ، وأمدَّه من طاقات وإمكانيات .

وهذه الإدارة تُسمَّى في الشرع القِوامة ، وهي لا تعني الأفضلية بأي حال ، ولا تعني أيضًا التسلُّط والدكتاتورية أوِ الاستبداد ، وإنما تعني المسؤولية والتكليف، الذي تقتضيه هندسة الأسرة وطبيعة الحياة ؛ إذ لا يمكن للأسرة أن يستقيم بناؤها ويستمرَّ عطاؤها إلا في ظل إدارة وقيادة ومسؤولية أناطها الله بالرجل بقوله سبحانه : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . أي درجة القِوامة ، ولقوله عز وجل : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

هذه القضية وما يتعلَّق بها من أحكام ، وما يُثار هذه الأيام حولها من شبهات عالجها - بشيء من التفصيل والتدليل والتعليل ، وبأسلوب

علمي متجرد ، وغيرة على حرمات الله عادلة - فضيلة الشيخ/ **عبدالحميد ابن صالح الكرَّاني الغامدي** في هذه الرسالة القيمة ، التي أرجو أن تسدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية ، وأن تُسهم في معالجة هذه المسألة والرد على تلك الأصوات الناعقة ، التي بدأت تظهر هنا وهناك للنَّيْل من الشريعة الربانية الخالدة .

أرجو الله أن يجزيه خير الجزاء على هذا الجهد المبارك ، وأن ينفع به ، وأن ينصر دينه ، ويُعلي كلمته ؛ إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

د. سعيد بن مسفر القحطاني

مكة المكرمة

في ١٥/ ١١/ ١٤٢٥هـ

* * *

مقدمة

الحمد لله القائل جلَّ في عُلاه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] ، له الحمدُ أوَّلًا وآخرًا ، وظاهرًا وباطنًا .

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمَّا بعد :

فإن الله الذي خلق الإنسان جعل من فطرته : « الزوجية » ؛ شأنه شأن كلِّ شيء خلقه في هذا الوجود ، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، ثم شاء أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين للنفس الواحدة : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل : ٧٢] ، وأراد بالتقاء شطرَيِ النفس الواحدة – بعد ذلك – فيما أراد أن يكون هذا اللقاء سكنًا للنفس ، وهدوءًا للعصب ، وطمأنينةً للرُّوح ، وراحةً للجسد ، ثم سِترًا وإحصانًا وصيانةً ، ثم مزرعةً للنَّسل وامتدادِ الحياة ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١] ، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦] ، ﴿وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

ومن أهمية التقاء شطرَيِ النفس الواحدة لإنشاء مؤسَّسة الأسرة أمران :

أوَّلًا : توفيرُ السكن والطُّمأنينة والسَّتر والإحصان للنفس بشطرَيها .

ثانيًا : إمداد المجتمع الإنساني بعوامل الامتداد والترقِّي .

والقرآن الكريم مبثوثٌ في آياته جوانبُ أخرىٰ تؤلِّف دستورًا كاملًا شاملًا دقيقًا لنظام الأسرة المسلمة ، وتدلُّ بكثرتها وتنوُّعِها ودقَّتها وشمولها علىٰ مدىٰ الأهمية ، التي يعقدها المنهج الإسلامي للحياة الإنسانية علىٰ مؤسسة الأسرة[1] .

وانطلاقًا من هذه الأهمية كان هذا البحث الدقيق في جزء من جزئيَّات شؤون الأسرة المسلمة ، علىٰ حين أنه من أدقِّ أمورها ، وأهمِّ ضروريَّاتها ، عنوانه : « **القِوامة وأثرها في استقرار الأسرة** » .

وهي مسألة بالغة الحساسية خصوصًا في عصرنا الحاضر ، الذي يُروَّج فيه للأباطيل الكاذبة ، وتُزيَّن فيه الشعارات اللَّامعة ، علىٰ حساب طمس هُوية الأمَّة ، وسلب مقوِّماتها التي لا سبيلَ لنهوض الأمَّة إلا بها .

نلحظ هذا الترويج في بثِّ القنوات الفضائية ، بأسلوب مثير ، وإذكاءٍ للشكوك ، وتشويشٍ لأفهام عامَّة الناس ، من خلال برامجَ مباشرةٍ حية علىٰ الهواء ، تتجدَّد حلقاتها في كلِّ أسبوع ، مع كلِّ حلقة ما يؤلم ويُدمي من

---

(١) مُستلًّا من ظلال القرآن (٢/ ٦٤٨-٦٤٩) .

برامجَ مُعدَّةٍ لأغراضٍ ومقاصدَ ، نُطالِع فيها استضافةَ أُناسٍ باسم المفكِّر تارةً ، وباسم المفتي أخرىٰ ، وباسم المحلِّل مرَّةً ، وباسم الباحث والخبير والمطَّلع في الشؤون الفلانية مرارًا ، وبأسماء ذوَّقوا لها وسوَّقوا ؛ جاهدين لإضفاء المصداقية بطرائق العرض وأساليب الحوار المطعَّمة بالتقعُّر في الحديث ، وليِّ الكلام ، والتشدُّق في القول ، ولكأنِّي بحديث رسول الله ﷺ أَشهدُه في واقعنا الحيِّ المشاهَد حين قال : « **لا أُلفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئًا علىٰ أريكته ، يأتيه الأمر من أمري : ممَّا أمرتُ به ، ونهَيتُ عنه ، فيقول : لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبَعْناه** »[1] .

وماذا عساكَ أن تسمعَ ؟! فمن تأويل - لا مسوِّغَ له ولا مبرِّر - لآيات الله الكريم ، وتعنُّتٍ في فَهم أحاديث النبي الكريم ﷺ ، مع مزيد جهلٍ بأصول الشريعة وأسرار التشريع ، في زعمٍ للتجديد ، وادِّعاءٍ لإعادة الصياغة بأسلوب العصر ، وروح المدنية والحضارة ! وما يوافقُ المنجزات بحجَّة مواجهة التحدِّيات ، ومواكبة المعطيات !

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٠٢-٣٠٤) ، حديث رقْم (٢٣٨٧٦) ، والترمذي في جامعه (٧/ ٣٥٤-٣٥٥) ، حديث رقْم (٢٨٠٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وأبو داود في سننه (١٢/ ٢٣٢-٢٣٣) .

وابن ماجه في سننه (١/ ١٥-١٦) ، حديث رقْم (١٣) ، بلفظ : « **يُوشكُ الرجلُ مُتَّكئًا علىٰ أريكته ، يُحدِّثُ بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه ، ألا وإن ما حرَّمَ رسول الله ﷺ مثلُ ما حرَّم الله** » .

والحاكم في مستدركه (١/ ١٩٠-١٩١) ، حديث رقْم (٣٦٨) ، وقال الحاكم : وهو صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرِّجاه . وقال الذهبي في التلخيص : علىٰ شرطهما .

وهذه دعاوىٰ مطروحةٌ علىٰ أَشُدِّها في البرامج الفضائية ، وممَّا دفعني لإخراج هذه الرسالة[١] والزيادة عليها ، ما سمعتُ بأُذنَي عن مسألة القِوامة في إحدىٰ اللقاءات بهذه القنوات ، بأنَّ آيات القِوامة نزلت في عصر له ظروفه التي اكتنفَته ، وطريقةُ المعيشة التي حكمَته ، أما اليوم فالعصر غير العصر ، وطرائق المعيشة اختلفت ؛ فما عاد للأحكام التي نزلت في عصر له ظروفه الخاصَّة نفسُ الدلالة في عصر مختلف في ظروفه ومعطياته !

حتىٰ تسمع من هؤلاء الدعوةَ - باستنفار عجيب : من حشدٍ للطاقات ، وجلب الإمكانات ، واستدعاء القدرات - لأجل العكوف علىٰ دراسة بعض أحكام الشريعة ، والنظر في مُسلَّمات صريحة ظاهرة ، كمسألة قِوامة الرجل للمرأة وتحييزِها في أضيق الجوانب ! واعتبار أنها قد تصلحُ لزمن دون زمن ! أو علىٰ امرأة دون امرأة ! وبيئة دون أخرىٰ !

وما جانب القِوامة إلَّا جانب واحد من جوانب التشريع، التي نِيلَت بمدىٰ صلاحيَّتها وتمشِّيها مع العصر الحاضر ، وإلَّا فهناك مسائلُ كثيرة لسنا بصدد الحديث عنها ، كمسائل الميراث ، والحدود ، والولاية في القضاء ، والإمامة الكبرىٰ والصغرىٰ ، والدِّيات والشهادات وغيرها .

وسأضرب لك مثالين اثنين متباينين في الفكر ، لكنَّ العجيب أن يكون التباين فيمن يحمل الفكر ! فتجد من هُمْ من بيننا ومن بني جلدتنا قد تغرَّبوا عنَّا وتغرَّبت أفكارهم ، علىٰ حين أنك ترىٰ من علماء الشرق والغرب من أنصفوا الإسلام وشريعته ؛ فقالوا الحقيقة وأشادوا بها ، وتمنَّوا أن لو عاشوا بنظام يكفل حمايتهم في كلِّ نواحي الحياة وشؤونها .

(١) مع أن كتابتها كان من زُهاء ما يربو علىٰ عشر سنين ، في عام ١٤٢٠هـ ، انظر ختام البحث (ص : ١٠٣) .

المثال الأول : يقول « **جوستاف لوبون** » : إن مبادئ الميراث في الشريعة الإسلامية علىٰ جانب عظيم من العدالة والإنصاف ، وبمقابلتها مع القوانين الفرنسية والإنجليزية نجد أن الإسلام منح المرأة حقوقًا لا نجد مثلها في قوانيننا[١] .

فوا عجبًا ! هذه مقولة الأجنبي ، الذي لا يحمل اسم الإسلام ، ولا مبادئه العظام !

المثال الثاني : في لقاء مع أحد وزراء التربية والتعليم المتقاعدين في إحدىٰ البلاد العربية ، يخرج بخلاصة حياته ، وحصيلة تجربته ، بعدَ تقدُّم السنِّ ، واكتمال العقل والنظرة للحياة ، أن يمتدح تجربتهمُ الرائدة في منع تعدُّد الزوجات ! ويمتدح بقوَّة هذه المدرسة الفكرية التي أنجبت لهم هذا القرار ، وأنها مدرسة أعادت النظر بطريقة عصرية - تتماشىٰ مع طرائق المستعمِر الغربي - ، وما علمَ أنه مخاضٌ عسِر ، وولادةٌ مشؤومة ، ستجرُّ علىٰ مجتمعه بويلاتها عواقبَ وخيمة ، ويدعو بشدِّة إلىٰ ضرورة انتشار مثل هذه المدارس ، وإنتاج مثل هذه النتائج ! ويُدينُ بقسوة وتنكُّر كبيرين مَن يلومهم علىٰ فعالهم وطريق اختيارهم في طمس شعيرة من شعائر الدِّين الظاهرة نصًّا ، والواضحة دلالَةً في كتاب الله ﷻ وفي سنَّة نبيِّنا ﷺ وسيرته ؟!

فوا أسفًا ! ويا ألمَا ! أهذه مقولة العربِيِّ ، الذي يحمل اسم الإسلام ! ويفتخر بانتمائه لأمَّة مسلمة ؟! وتلك مقولة الأجنبي ، الذي لا يحمل اسم الإسلام ولا مبادئه العظام ؟!

---

(١) يُنظر : مرايا نسائية ، « أحلىٰ ما قيل في المرأة » ، لقاسم عاشور ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط.٢ (١٤٢١هـ) .

أليس الله الذي خلق هو الذي شرع ؟! فهو أعلم بالخَلْق وما يُصلحه ويلائمه ويتوافق مع ما فَطَرَه عليه ، سبحانه له الحكمة البالغة ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] ، بلىٰ ! ولكنَّ جهل الإنسان وظلمه لنفسه تجعلانِه يسلك أَوعَر الطُّرق ، ويسكن الخراب ! وحِكمة الخَلْق والأمر تَغيب عن المخلوق ، ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف : ٥١] ، وإلَّا فلو فكَّر الإنسان برهةً في شأن مخلوقات الله لرأىٰ من أسرار الخَلْق ما يزيدُه بالله إيمانًا ، ولأَمْره تعظيمًا ، وبحُكْمه تسليمًا واطمئنانًا ، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل : ٨١] ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل : ٤٨] .

ولكنْ شأْن البشر النقص وملازمته للجهل ، ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء : ١١] ، ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

فما عليك إلَّا التفكُّر والتدبُّر ؛ فآيات الله شاهدةٌ في كونه ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر : ٦٢] .

وعليه فلا بُدَّ للزوجين أن يعرفا حكمة الله في خلقه ؛ إذ هو الذي خلق ، وهو أعلم بما يَصْلُح لخلقه وما يوافِق طبيعة خَلْقهم .

فعلاقة الزوجين ليست علاقة الندِّ بالندِّ ، ولا النظير بنظيرِه ، وحين تُفهَم العلاقة علىٰ هذا النحو تغدو الحياة بُؤْسًا وجحيمًا .

إن علاقة الزوجية علاقة تكامل وتواؤم ، علاقة تجاذب وتقارب ، لا تنافر وتباعد ، وتناحُل وتباغض ؛ لأنّ الله هيَّأ طبيعتهما علىٰ هذا النسَق . بل جعلها جِبِلَّةً ضرورية وطبيعةً فِطرية ، حتىٰ في بقية الأحياء من الحيوان والنبات فبينهم هذه الرابطة الوثيقة ، والعلاقة الحميمة تجانسٌ وترابطٌ ، وتناسقٌ وتناغم ، ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود : ٤٠] ، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد : ٣] .

هذه دعوة للتفكُّر بين الزوجين في شأن علاقتهما في حياتهما ، وتفهُّم طبيعة جِبِلَّتِهما وما تقتضيه فطرة كلٍّ واحد منهما ، وما تدفعه إليه من دَوْر وعمل يختلف عن الآخر كمًّا وكيفًا ، توافقًا مع استعداداته ، وتكيُّفًا مع إمكاناته ، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد : ٣] ، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم : ٤٥] .

فطبيعة الخَلْق التي جُبِل عليها أن الذَّكر مكمِّل للأنثىٰ ، والعكس بالعكس ؛ وبهذا تغدوا الحياة أُنسًا ونعيمًا ، وتصفو مشربًا وريًّا .

لذا وحديثنا عن القِوامة وأثرها في استقرار الأسرة ، ومن ثم تُلقي باستقرارها علىٰ المجتمع بأسره ، فتَوْهِين هذه القِوامة أو تهميشها يُوَلِّد الاضطراب العائلي والتفكُّك المجتمعي .

وخوفنا ممَّن يدعو بهذه الدعوات ، ويتبنَّىٰ مثل هذه الرُّؤىٰ ، ويروِّج لها حين يكون من بني جلدتنا ، وينبري من بين صفوفنا ؛ ليطعن في ظهر أمَّته ، ويستدرج بني أهل ملَّته ؛ ليصبح دسيسةً ومكيدةً لا يفطن لها كثيرٌ من الناس ، ولا غَرْو فقد نبَّأنا رسول الله ﷺ عن مثل هؤلاء ، بل وحذَّرنا من

صنيعهم ، حين سأله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ ؟ قال : « **نَعَمْ** » ، قلتُ : وهل بعد ذلك الشرِّ من خير ؟ قال : « **نعم ، وفيه دَخَنٌ** » ، قلتُ : وما دَخَنُه ؟ قال : « **قومٌ يَهدون بغير هَدْيِي تعرف منهم وتُنكر** » . قلتُ : فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ ؟ قال : « **نعم ، دعاةٌ علىٰ أبواب جهنَّم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها** » . قلتُ : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : « **هُم من جِلْدَتنا ويتكلَّمون بألسنتِنا** »(١) .

ويعتريك العَجب تارةً ، وتصيبُك الدهشة أحيانًا ، وتحتار حين تُسائل نفسك عن دوافع هؤلاء القوم ! أشفقةً علىٰ الأمَّة بحقيقة اطَّلعوا عليها لم تَدْر عنها الأمَّة ؟! أم بعلم فُتِح لهم لم تُوفَّق له أفهام آلاف الناس ؟! أم لحظٍّ حصَّلوه عزَّ عليهم أن يستأثروا به ؟! أم جهل مُغَلَّف بسذاجة مطبقة ؟! أم علم مبتور عن أصوله وجذوره ؟! أم تشرَّبوا الحضارة بكلِّ ما فيها ؛ فأعْمَت أبصارَهم ؟! أم هو حِقدٌ يعتَلِج صدورَهم ، ومكر يتلَّوىٰ في ضمائرهم ؟! أم ماذا في الأمر يا تُرىٰ ؟! كلٌّ له حَدْسُه وتوقُّعُه ، وقد يصدق علىٰ بعضهم جانبٌ دون جوانب ، وقد يطغىٰ علىٰ أكثرهم جوانبُ متعدِّدةٌ ، والمحصِّلة في الجميع أنهم جميعًا مقيَّضون للهدم لا للبناء ! وللخراب لا للعمار !

وأخشىٰ ما أخشاه أن تفعل هذه البرامج في الأمَّة فعلها(٢) ، وأن تتبدَّل القناعات ، وتتحوَّل القِيَم ، وتُزعزع الأساسات ، وتخضع المسلَّمات

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ح (٣٦٠٦) ، ومسلم في صحيحه ، ح (٤٧٦١) ، وابن ماجه في سننه ، ح (٣٩٧٩) .

(٢) لا أظن الخشية علىٰ ما كتبت في حينها عام ١٤٢٠هـ ، حيث لم تكن القنوات الفضائية البناءة تستكمل عدَّ أنامل الأصبع الواحد ؛ وأما اليوم فبحمد الله نرىٰ نهوض قنوات =

بالأمس إلى ميزان التحديث والتطوير في الغد ، وكثرة الطَّرق تَفُلُّ الحديد ! ونحن نشاهد أثرها المبدئي في مجالسنا واجتماعاتنا ، وفي التقاءاتنا وزياراتنا ، فلا يكاد يخلو الحديث عن طرف ممَّا سبق ؛ إثر لوثات تلك البرامج وإثارتها ، وما تعلَّق في أذهان الناس منها ، وتردَّد على أفواههم بسببها .

وخطَّتْه أنامِل أبي أسامة

عبد الحميد بن صالح بن عبد الكريم الكرَّاني

alkrrani@hotmail .com

الإثنين٢١/ ٧/ ١٤٢٥هـ

* * *

= فضائية متكاثرة تتبنى البناء لا الهدم ، وتتسارع فيما بينها في الخير ؛ فاللَّهم زد منها وبارك .

وقفة لا بد منها !

وهاهنا وقفة لا بُدَّ منها ، وهي أن القِوامة أساس الإصلاح ؛ ولهذا كان لزامًا علىٰ كلِّ قَيِّم أن يسوس قِوامته بمبدأ راسخ ، ويحيطها بسياج محكم آمن ، ويُهيِّئ لنفسه ما يعينه علىٰ القيام لمن ولَّاه الله أمره ، وجعله عليه مؤتمنًا ، « **والله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاه : أَحَفِظ أم ضيَّع !** »[1] . ففي عنقه أمانة سيُسأل عنها .

وبسبب كثرة المؤثِّرات في زماننا هذا ؛ انحسر الظلُّ الوارف للقِوامة ، وامتدَّ قيض الهجير ، واشتدَّ لفح السَّموم ، لترىٰ القِوامة - عند ثُلَّةٍ - معلمًا قديمًا ، معدوم النفع ، محدود الأثر ، لا جدوىٰ لها أمام معالم متجدِّدة متكاثرة ، جذَّابة متلوِّنة ، حجَّمت الولاية ، واستبدَّت بالتوجيه والرعاية ، في ظل غياب المراقبة وضعف الوازع ، ومَن أَمِن العقوبة أساء الأدب !

ومن أوجب ما يعلمه كلُّ قَيِّم أن أشدَّ منافس له في زماننا هذا ما توصَّلت له الصناعات الدقيقة ، والتقنيات الحديثة ، والثورة الإلكترونية ، بتطوُّر الاتصالات وأجهزة المعلومات ، فبالأمس لم نكن نعرف إلا التِّلفاز بوجه الشاشة البيضاء والسوداء ، بقناة أو قناتين ، ومَن يملك حينها جهاز الفيديو ؟! واليوم شاشاتٌ متلوِّنةٌ ، وأبعاد ومقاسات مختلفة ، وصناعات

---

(١) أخرجه ابن حِبَّان في صحيحه ، ح (٤٤٩٢) .

متسارعة ، وقنوات العالم بالمئات – بل الآلاف – بين يدي مقلِّبها ؛ يشير إلىٰ ما شاء منها في لحظة ، وهو علىٰ متَّكئه دون عناء .

وإن جئت لِتتحدَّث عن شبكة المعلومات العالمية الإنترنت : فسترىٰ أنها باتت طيفًا مجتمعيًّا جديدًا ؛ ومع مُضي السنين القليلة ستصبح جزءًا من حياة الفرد ، وضرورة في حياة المجتمع ؛ لا سيما وقد اعتُمدت وسيلة فاعلة لتسهيل الخدمات الحكومية والأهلية .

ولذا فقد أصبح التواصل من خلالها أمرًا حتمًا متاحًا من خلال خدمات عدَّة ؛ كالبريد الإلكتروني ، وبرامج المراسلة الفورية المباشرة ، فيما يُسمَّىٰ بغرف الدردشة النصية ، وكذا المرئية ، والصوتية ، إضافة إلىٰ مواقع الصور والفيديو ، ومواقع المنتديات الحوارية ، والمدونات وغيرها .

وحدِّث وستملُّ الحديث عنها !

بل الأمر تراه في متناول أيدي الصغار قبل الكبار ، ذكورًا وإناثًا ، حيث سهَّلَتِ التقنية المتطوِّرة مباشرة ذلك كلَّه عن طريق أجهزة الهاتف الجوَّال من خلال صفحات الدخول علىٰ الإنترنت ، ويقرب من ذلك : رسائل الوسائط المتعددة (MMS) ، والرسائل النصِّية (MSM) ، والتبادل اللاسلكي (Bluetooth) ، كلُّ ذلك يُحمَل في الجيب دون عناء !

وليست الإشكالات في التقنية ، لكنما الإشكال حين تُصيَّر عند فئات شتَّىٰ من المجتمع تسلية بلا هدف ؛ وإضاعة للوقت بكل ترف ؛ فعندها تُهدَر الطاقة ، وتُسلَب الإرادة ، ويُقضَىٰ علىٰ الطموح !

إذا تأمَّلت هذه التقنيات الخدمية ؛ أيقنت أن فيها منافع للناس ومغانم ، غير أن فيها من المآثم والمغارم ما لا يعلمه إلا الله ، وذلك حين تُسخَّر المنحة لتكون محنة ، والعطية لتصير بليَّة عند فئام من الناس لم يُدركوا جمال الفضيلة ، ويستشعروا شناعة الرذيلة !

وهذه التقنية – عند من سخَّرها في غير ما أمر الله به من استخلاف الأرض وعمارتها على الوجه الذي يرضيه – هي فتنة ، وأي فتنة ! وقد حذَّرنا نبيُّنا ﷺ من الفتن ، ولا يُستبعَد أن تكون هذه التقنية بمفاتنها داخلة فيما أخبر به النبي ﷺ ، واختصره في عبارة موجزة ، قد لا ترعاها أسماع كثير من الناس قدر رعايتها حين تقرَع آذانهم ، مع ما في هذه الآثار من أسرار الأخبار وتجلِّيها مع مر السنين والأعصار ؛ إذ بوَّب الإمام البُخاري في صحيحه باب قول النبي ﷺ : « **ويلٌ للعرب من شرٍّ قدِ اقترب** » ؛ وذلك حين استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًّا وجهُه يقول : « **لا إله إلَّا الله ؛ ويلٌ للعرب من شرٍّ قدِ اقترب** » .

ثم ذكر حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، قال : أَشْرفَ[1] النبي ﷺ على أُطُم[2] من آطام المدينة فقال : « **هل ترون ما أرى ؟** » ، قالوا : لا . قال : « **فإنِّي لَأرى الفتن تقع خلال بُيوتِكم كوَقْع القَطْرِ** »[3] .

قال الإمام النووي رحمه الله : ومعنى (أَشْرفَ) : عَلا وارتفع .

---

(١) أَشْرفَ : أي اطَّلع من عُلْوٍ . يُنظر : فتح الباري (٢٠/ ٦٥) .

(٢) الأُطُم : بضمَّتين هو الحصن . يُنظر : فتح الباري (٢٠/ ٦٥) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، ح (٦٥٣٦) .

والتشبيه بمواقع القَطْر في الكثرة والعموم ، أي إنها كثيرة ، وتعُمُّ الناس ، لا تختصُّ بها طائفة[١] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : إنما خصَّ العرب بالذكر ؛ لأنهم أوَّل من دخل في الإسلام ، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعَت كان الهلاك أسرع إليهم[٢] .

وفي رواية أبي بكر بن أبي شَيبة عن سُفيان : « **إني لأرىٰ مواقع الفتن** » ؛ والمراد بالمواقع : مواضع السقوط ، والخلال : النواحي ، والرؤية بمعنىٰ : النظر ، أي : كُشِف لي فأبصرتُ ذلك عيانًا[٣] .

وفي رواية : « **كمواقع القَطْر** » ؛ وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم ؛ لأنه إذا وقع في أرض معيَّنة عمَّها ولو في بعض جهاتها ، وهذا غاية في التحذير من الفتن ؛ حيث جعل الموت خيرًا من مُباشرتها ، وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البُيوت ؛ ليتأهَّبوا لها ؛ فلا يخوضوا فيها ، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرِّها[٤] .

قال ابن بطَّال رحمه الله : هذه الأحاديث كلها ممَّا أنذر النبي ﷺ بها أمَّته ، وعرَّفهم قرب الساعة ؛ لكي يتوبوا قبل أن يهجم عليهم وقتُ غلق باب التوبة ؛ حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ... ، وهذا

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٩/ ٢٦٢) .
(٢) فتح الباري (٢٠/ ٦٣) .
(٣) فتح الباري (٢٠/ ٦٥٣) .
(٤) فتح الباري (٢٠/ ٦٥٣) .

الحديث في معنىٰ قوله ﷺ : «**بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها**»[1][2] .

إنها إشارة لا يُستبعَدُ أن يكون بعض حقيقتها ما نعيشه الآن من هذه التقنية المعاصرة ؛ لتكون جزءًا من معجزات النبوَّة ؛ إذ هذه التقنيات والاتصالات قد غزت البُيوت في عقرها ؛ ألَا ترىٰ أن أهل البيت يجتمعون في مجلس واحد – بل أفراد منهم في غرف متفرِّقة أحيانًا – ليشاهدوا ما يُبَث من خلال ما تُمطره الأقمار الصناعية من الفضاء إليهم !

إنه تقارب كبيرٌ بين تشبيه النبي ﷺ لوقوع الفتن حين رآها من مكان مرتفع ، يرىٰ فيه ظهورَ البُيوت وأسطُحَها متساقطًا عليها المطر الكثيف من السماء – وبين ما نعيشه واقعًا من توالي الذبذبات من عُلوِّ الأقمار الفضائية إلىٰ الأطباق المستقبلة للبثِّ في أسطُح البُيوت ! ليشاهده الجميع في عقر دورهم عبر التلفاز أو الإنترنت !

ولذا فإني أستحثُّك لإعادة قراءة حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين أَشْرَف النبِي ﷺ علىٰ أُطُم من آطام المدينة ، ولتكن قراءة متأنية مستبصرة !

* * *

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ح (٤٦٥٢) ، والإمام مسلمٌ في صحيحه ح (٨٦٧) .
(٢) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري (١٩/ ١١) .

خطوة مسؤولة !

وحين معاودتك للتأمُّل آنفًا ؛ ستجد الفضاء يعجُّ بقنوات متباينة ؛ بل ومتضادَّة ؛ فما العمل حيالها ؟! وما المخرج من غثائها وهزالها ؟!

إنه من نعمة الله أن وُجد البديل بقنوات تحيط نفسها بسياج الشرع ، وهي خطوات غير مسبوقة ، كباقة قنوات المجد بارك الله في القائمين عليها ، فإدخالها للبيوت لا يحتاج معها إلىٰ رقابة ، بل يُطمئن ربَّ البيت علىٰ أسرته ؛ بما تحمله من تنوُّع وبناء .

وثمة غيرها من القنوات علىٰ غرارها يجمعها جهاز واحد بالإمكان اقتناؤه .

فإن أَبيتَ إلَّا إدخال الجهاز المفتوح بكامل قنواته ؛ فالأمانة متعلِّقة برقبتك في تشفيره ؛ استجابة لنداء الحقِّ تبارك وتعالىٰ : ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور : ٣٠] ، وندائه : ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور : ٣١] . يدفعك لتفعيل هذه الرقابة الشرعية استجابتُك للأمر الرَّباني : ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم : ٦] ؛ إذ تحمل هذه الأجهزة قنوات تصلح أن تقاس علىٰ غرار التقسيم المشتهر في شركات الأسهم اليوم ؛ فستجد منها : القنوات

المحرَّمة ، وما أكثرها[(١)] ! وتقابلها المباحة ، وما أقلَّها بالنسبة لسابقتها ! وبينهما المختلطة المشتبهة « **فمَن اتَّقى الشُّبُهات ؛ استبرأ لدِينه وعِرْضه** »[(٢)] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

هذه لمحة على عجل ؛ لِتدرك من ورائها أبعادها ، وتغنيك إشاراتُها لما تحمله طيَّاتُها !

وبهذا وما سبق تدرك ما للقِوامة من أثر عميق في استقرار الأسرة بمفردها ، وترابط الأمَّة بأجمعها ، في ظلِّ حيوية الطرح الفضائي وتكراره ، وأثره على المجتمع وانتشاره ، ولبيان الحقيقة وكشف الزيف وبطلانه جاءت أهمية هذا البحث واختياره .

* * *

(١) وهي لا تخرج عن قنوات حاملة للواء الشهوات ؟! ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ ﴾ [المائدة : ٦٢] ، وأخرى تبثُّ الشُّبُهات ؛ ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] ، والعاقل خصيم نفسه قبل أن يأتي يومٌ أخبرنا الله عنه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِىۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، ح (١٥٩٩) .

تمهيد
التعريف بمفردات العنوان

القِوامة :

القِوَام – بالكسر – : نظام الأمر ، وعِماده ، ومِلاكه[1] .

وهو قِوام أهل بيته ، وقِيام أهل بيته .

وهو الذي يقيم شأنهم ، من قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ [النساء : ٥] ، ويُقال : هذا قِوام الأمر ، ومِلاكه الذي يقوم به[2] .

أَثَرُها :

الهمزة والثاء والراء ، له ثلاثة أصول :

تقديم الشيء ، وذكر الشيء ، ورسم الشيء الباقي .

والأثر : بقيَّة ما يُرىٰ من كلِّ شيء ، ورسمه[3] .

---

(١) يُنظر : القاموس المحيط (٢/ ١٥١٧) ، باب الميم ، فصل القاف ، مادة « القوم » .

(٢) يُنظر : لسان العرب (١١/ ٣٧٥) ، باب القاف ، مادة « قوم » .

(٣) يُنظر : معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٣-٥٤) ، كتاب الهمزة ، باب الهمزة والثاء وما يثلثهما ، مادة « أثر » ، ولسان العرب (١/ ٩٦) ، باب الهمزة ، مادة « أثر » .

استقرار :

القاف والراء ، أصل صحيح يدلُّ على التمكُّن[(١)] .

وقَرَّ بالمكان يَقِرُّ – بكسر القاف وفتحها – قرارًا وقرورًا وقرًّا وتَقِرَّةً : ثبت وسكن ، كاستقرَّ وتَقَارَّ[(٢)] .

والقُرُّ – بالضم – : القرار في المكان .

وأقررت الشيء في مقرِّه لِيقَرَّ ، وفلانٌ قارٌّ : ساكنٌ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٤] . أي : قرارٌ وثبوت[(٣)] .

الأسرة :

الهمزة والسين والراء أصل واحد ، وقياس مُطَّرد ، وهو الحبس والإمساك .

والأَسْر : الشدُّ والعَصْب .

والأُسرة – بالضم – : الدِّرْع الحصينة ، ومن الرجُل : عشيرته ورهطه الأدنَون ؛ لأنه يتقوَّى بهم . والأُسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته[(٤)] .

---

(١) يُنظر : معجم مقاييس اللغة (٥/ ٧) ، كتاب القاف ، باب القاف وما بعدها في الثلاثي الذي يقال له المضاعف والمطابق .

(٢) يُنظر : القاموس المحيط (١/ ٦٤٢) ، باب الراء ، فصل القاف ، مادة « القر » .

(٣) يُنظر : لسان العرب (١١/ ٩٩) ، باب القاف ، مادة « القر » .

(٤) يُنظر : معجم مقاييس اللغة (١/ ١٠٧) ، كتاب الهمزة ، باب الهمزة والسين وما =

ويُعرِّف أحد الباحثين الأسرة بقوله :

« الأسرة : مؤسَّسة اجتماعية ، تنبعث من ظروف الحياة والطبيعة الإنسانية ، وهي ضرورة واجبة لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي ، فقد أودع الله في الإنسان هذه الضرورة علىٰ صورة الفطرة . والأسرة في حقيقتها اجتماع بين الرجل والمرأة ، واتِّحاد دائم مستمرٌّ بينهما ، وسكنُ كلٍّ منهما إلىٰ الآخر علىٰ صورة يرضىٰ عنها المجتمع » .

* * *

= يثلثها ، مادة « أسر » ، والقاموس المحيط (١/ ٤٩٢) ، باب الراء ، فصل الهمزة ، مادة « الأسر » ؛ ولسان العرب (١/ ١٤١) ، باب الهمزة ، مادة « أسر » ؛ ومختار الصحاح ، باب الهمزة ، مادة « أسر » .

تفسير آيات القِوامة في القرآن الكريم

قال تعالىٰ : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

• قوله تعالىٰ : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ :

أي : مُسلَّطون علىٰ تأديب النساء في الحقِّ[١] .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[٢] : الرجال أهل قيام علىٰ نسائهم في تأديبهن والأخذ علىٰ أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم[٣] . فالرجل قيِّم علىٰ المرأة ، وهو رئيسها ، وكبيرها ، والحاكم عليها ، ومؤدِّبها إذا اعوجَّت[٤] .

---

(١) يُنظر : زاد المسير (٢/ ٧٤) .

(٢) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، مفسِّر مؤرِّخ ، وُلد في آمل بطبرستان ، واستوطن ببغداد ، وتوفي بها ، عُرِض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبىٰ ، له « جامع البيان في تفسير القرآن » ، « وأخبار الرسل والملوك » ، وغيرهما من الكتب . [يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) ، الإعلام (٦/ ٦٩)] .

(٣) يُنظر : تفسير الطبري (٤/ ٥٩) .

(٤) يُنظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٢) .

« والمراد : أنهم يقومون بالذبِّ عنهن كما يقوم الحكَّام والأمراء بالذبِّ عن الرعيَّة[١] »[٢] .

قوَّامون : جمع قوَّام ، وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحًا .

والقوَّام ومثله القيام والقيُّوم والقيِّم كلُّها بمعنًى واحد ، مشتقَّة من القيام ، والقوَّام أبلغ في القيام بالأمر ، يقال : هذا قيِّم المرأة ، وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب ؛ لأن من شأن من يهتمُّ بالشيء وتدبيره أن يقف عليه ويقوم .

والمعنى : هو أمينٌ عليها ، يتولَّى أمرها ، ويهتمُّ بحفظها ، ويصلحها في حالها[٣] . وإيراد الجملة والخبر على صيغة المبالغة في قوله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ؛ لِيدلَّ على أصالتهم في الاتصاف بما أُسند إليهم ورسوخهم فيه[٤] .

---

(١) في الأصل المطبوع « الحاكم » و« الرعاية » هكذا ، والمثبت أعلاه هو الأليق بالسياق ، فتنبَّه !

(٢) يُنظر : تفسير الشوكاني (١/ ٥١٦) .

(٣) يُنظر : تفسير البغوي (٢/ ٢٠٧) ، وتفسير السمعاني (١/ ٤٢٣) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٥-٤١٦) ، وتفسير أبي حيَّان (٣/ ٢٣٩) ، وتفسير الرازي (٩/ ٨٨) ، وأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١٦٢) ، وحاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٢/ ٣١) ، وأيسر التفاسير (١/ ٤٧٢) .

(٤) يُنظر : تفسير الشوكاني (١/ ٥١٦) ، وتفسير أبي حيَّان (٣/ ٢٣٩) ، وروح المعاني (٥/ ٢٣) ، وتفسير أبي السعود (١/ ١٧٣) .

● **وقوله تعالىٰ : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ :**

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ، هذه الجملة مستأنفة مشتملة علىٰ بيان العِلَّة التي استحقَّ بها الرجال الزيادة ، كأنه قيل : كيف استحقَّ الرجال ما استحقُّوا ممَّا لم تشاركهم فيه النساء ؟

فقال : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ . أي : قوَّامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالىٰ إياهم عليهن ، ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة إلىٰ التصريح بالمفضَّل والمفضَّل عليه أصلًا .

ولمثل ذلك لم يصرِّح بما به التفضيل من صفات الكمال ، التي هي : زيادة العقل والدين ، والحزم والعزم ، وحُسن التدبير ، ورزانة الرأي ، والصبر والجَلَد ، ومزيد القوَّة في الأعمال والطاعات ؛ ولأجل ذلك خُصُّوا بالنبوَّة ، والإمامة الكبرىٰ والصغرىٰ ، وإقامة الشعائر ، وكمال الصوم والصلاة ، والجهاد والأذان والخطابة ، والجمُعة والجماعة ، والولاية في القضاء ، وفي التزويج والنكاح ، وفي الطلاق والرجعة ، وزيادة السهم في الميراث والدِّيات والشهادات وعدد الزوجات ، والاستدعاء إلىٰ الفراش ، والوطء بملك اليمين ، وإليهم انتساب الأولاد ، وكون منهم العلماء والخلفاء والسلاطين والحكَّام والأمراء والغزاة ، إلىٰ غير ذلك من الأمور .

فذلك تفضيل الله تبارك وتعالىٰ الرِّجال علىٰ النساء ؛ ولذلك صاروا قُوَّامًا عليهن ، نافذي الأمر فيما جعل الله إليهن من أمورهنَّ[1] .

---

(١) يُنظر : تفسير الطبري (٤/ ٥٩) ، وتفسير الشوكاني (١/ ٥١٦-٥١٧) ، وتفسير =

- **وقوله تعالىٰ : ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ :**

أي : بسبب إنفاقهم من أموالهم ، وذلك بما ساقوا إليهن من صداق ، وأنفقوا عليهن من نفقات مستمرَّة .

فتأويل الكلام إذن : الرجال قوَّامون علىٰ نسائهم بتفضيل الله إياهم عليهن ، وبإنفاقهم عليهن من المهور والنفقات والكُلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه ، وسنَّة نبيِّه ﷺ .

فالرجل أفضل من المرأة في نفسه ، وله الفضل عليها والإفضال بسعيه ، فناسب أن يكون قيِّمًا عليها ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾[1] .

وهذه هي القِوامة للرجال علىٰ النساء ، هي الدرجة التي ذكرها الله

= ابن كثير (٢/ ٢٩٢) ، وتفسير البغوي (٢/ ٢٠٧) ، وتفسير السمعاني (١/ ٤٢٣) ، وزاد المسير (٢/ ٧٤) ، وتفسير النسفي (١/ ٢٢٣) ، وتفسير أبي السعود (١/ ١٧٣) ، وحاشية محيي الدين شيخ زاده علىٰ تفسير البيضاوي (٢/ ٣١) ، وروح البيان (٢/ ٢٠١- ٢٠٢) ، وتفسير الخطيب الشربيني (١/ ٣٠٠) ، وكتاب التسهيل (١/ ٢٥٠) ، وتفسير الماوردي (١/ ٤٨٠) ، وتفسير البحر المحيط (٣/ ٢٣٩) ، وتفسير الكشَّاف (١/ ٥٢٣-٥٢٤) ، والتفسير الكبير للرازي (٩/ ٨٨) ، وتفسير أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٦) ، وتفسير السعدي (ص : ١٤٢) .

(١) يُنظر : تفسير الطبري (٤/ ٣٤) ، وزاد المسير (٢/ ٣٤) ، وتفسير البغوي (٢/ ٢٠٧) ، وتفسير أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٦) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٢) ، وتفسير السمعاني (١/ ٤٢٣) ، وتفسير الشوكاني (١/ ٥١٧) ، وروح البيان (٢/ ٢٠٢) ، وتفسير الماوردي (١/ ٤٨٠) ، وكتاب التسهيل (١/ ٢٥٠) ، وتفسير الخطيب الشربيني (١/ ٣٠٠) .

تعالىٰ في قوله : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ، أي : منزلة ليست لهن في الفضيلة ، وفي الخُلُق ، وطاعة الأمر ، والإنفاق ، والقيام بالمصالح ، وغير ذلك من الفضائل السابقة الذكر ، وكونها يجب عليها امتثالُ أمره ، والوقوفُ عند رضاه ، ولو لم يكن من فضيلة الرجال علىٰ النساء إلا كونهن خُلِقْنَ من الرجال ، لما ثبت أن حوَّاء خُلقت من ضِلَع آدم عليه السلام[1] .

وفي هذه الدرجة : حَثٌّ للرجال لأخذهم عليهن بالفضل إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهن ، بتفضُّلهم عليهن ، وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ، ومعنىٰ الدرجة : الرتبة والمنزلة .

وهذا القول من الله تعالىٰ وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فمعناه ندب الرجال إلىٰ الأخذ علىٰ النساء بالفضل ؛ ليكون لهم عليهن فضل درجة[2] .

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ، في كتاب : الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم ، حديث رقْم (٥٢٥) ، موقوفًا علىٰ الشافعي ، وسببه سؤال أبي اليمان المصري للشافعي عن حديث النبي ﷺ : « **يُرَشُّ من بول الغلام ، ويُغسَل من بول الجارية** » والماءان جميعًا واحد ؟! قال : لأن بول الغلام من الماء والطين ، وبول الجارية من اللحم والدم . ثم قال له : فهمتَ ؟ أو قال : لَقِنت ؟ قال : لا ! قال : إن الله تعالىٰ لما خلق آدم خُلقت حوَّاء من ضِلَعِه القصير ؛ فصار بول الغلام من الماء والطين ، وصار بول الجارية من اللحم والدَّم . قال : قال له : فهمتَ ؟ قال : نعم ، قال له : نفعك الله به . وصحَّحه العلامة الألباني رحمه الله وغفر له ، كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٦٥) ، حديث رقْم (٤٣٠) ، وانظر : إرواء الغليل (١/ ١٨٨) ، حديث رقْم (١٦٦) .

(٢) يُنظر : تفسير الطبري (٢/ ٤٦٨-٤٦٩) ، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٠٩-٦١٠) ، وتفسير البغوي (١/ ٢٦٩) ، وزاد المسير (١/ ٢٦١-٢٦٢) ، وتفسير الشوكاني (١/ ٢٦٠- ٢٦١) .

مُقوّمات القِوامة ، وسبب استحقاقها

وفي جملة قوله تعالىٰ : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] إشارةٌ إلىٰ أن الرجل أفضل من المرأة ؛ وذلك لأن الذكورة شرف وكمال ، والأنوثة نقص خَلْقي طبيعي ، والخَلْق كأنهم مجمعون علىٰ ذلك ؛ لأن الأنثىٰ يجعل لها جميع الناس أنواع الزينة والحُلي ، وذلك إنما هو لجبر النقص الخَلقي الطبيعي الذي هو الأنوثة ، بخلاف الذكر فجمال ذكورته يكفيه عن الحُلي ونحوه .

وقد أشار تعالىٰ إلىٰ نقص المرأة وضعفها الخلقيين الطبيعيين ، بقوله : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف : ١٨] ؛ لأن نشأتها في الحلية دليل علىٰ نقصها المراد جبره ، والتغطية عليه بالحُلي كما قال الشاعر :

وما الحُلي إلّا زينةٌ من نَقِيصةٍ
يُتمِّم من حُسْن إذا الحُسْن قَصَّرا

وأمَّا إذا كان الجمال مُوفَّراً
كحُسْنِك لم يُحتَجْ إلى أن يُزَوَّرا

ولأن عدم إبانتها في الخصام إذا ظُلِمت دليل علىٰ الضَّعف الخلْقي ، كما قال الشاعر ابن الدمينة :

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضُوا له
بعض الأذى لمْ يدْر كيف يُجيبُ

فلمْ يَعتذرْ عُذْرَ البريء ولم تَزَل
به سكْتَةٌ حتَّى يُقال مُريبُ

ولا عبرة بنوادر النساء ؛ لأن النادر لا حكم له .

وأشار بقوله : ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ إلى أن الكامل في وصفه وقوَّته وخِلْقته يُناسب حاله أن يكون قائمًا على الضَّعيف الناقص خلقه .

ولهذه الحكمة المشار إليها ؛ جعل ميراثه مُضاعفًا على ميراثها ؛ لأن مَن يقوم على غيره مترقِّب للنقص ، ومن يقوم عليه غيره مترقِّب للزيادة ؛ وإيثار مترقِّب النقص على مترقِّب الزيادة ظاهرة الحكمة[1] .

وجُملة القول في سبب استحقاق القِوامة : أنه تعالى لمَّا أثبت للرجال سَلْطَنة على النساء ؛ بيَّن أن ذلك مُعلَّل بأمرين اثنين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ .

واعلم أن فَضْل الرجال على النساء حاصلٌ من وجوه كثيرة ، بعضها صفات حقيقية ، وبعضها أحكام شرعية .

أمَّا الصِّفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين : إلى **العلم** ، وإلى **القدرة** ؛ ولا شكَّ أن عقول الرجال وعلومهم

(١) يُنظر : تفسير أضواء البيان (١/ ٢٢٠-٢٢١) .

أكثر ، ولا شكَّ أن قدرتهم على الأعمال الشاقَّة أكمل ؛ فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوَّة .

السبب الثاني لحصول هذه الفضيلة : قوله تعالى : ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ . يعني : الرجل أفضل من المرأة ؛ لأنه يعطيها المهر ، وينفق عليها[1] .

* * *

(١) يُنظر : تفسير الرازي (٩/ ٨٨) .

حُدود القِوامة

إذا تقرَّر في المبحث السابق فضل الرجل علىٰ المرأة ، وتلك هي الدرجة التي جعلها الله له علىٰ المرأة ، فلا يعني هذا أن الرجل أفضل من المرأة في كلِّ شيء ، بل تفضيل الرجل إنما يعود علىٰ ما سبق بيانه من تفسير آية القِوامة ، أمَّا ما عداه فالفضل بحسب فاعله رجلًا كان أوِ امرأة ، فليسَتِ الفضيلة ملازمة للرجال لا تتعدَّىٰ إلىٰ غيرهم ، كما أنها ليست حكرًا عليهم ، بل لا يُمنَع أن تَفْضُل بعض النساء الرجال بمراحل ، فها هن أربع نسوة ممن حُزْن الكمال ، كما أخبر النبي ﷺ : « **كمُل من الرجال كثير ، ولم يكمُلْ من النساء إلَّا آسِيَة امرأة فِرْعَون ، ومَرْيَم بنت عِمْران ، وإن فضل عائشة علىٰ النِّساء كفضل الثَّريد علىٰ سائر الطَّعام** »[1] ، وفيهن وفي مثيلاتهن يصدق

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢/ ٢٨٨) ، حديث رقْم (١٩٥٢٣) ، وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين . وقوله ﷺ : « **ولم يكمُل من النساء** » ، أي : فيمن سبق ، وإلَّا ففي وقته كمُل من النساء خديجة وفاطمة وعائشة ، كما وقع في رواية الطبراني زيادة : « **وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد** » ، ويشهد لفضلهما حديث علي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خير نسائها مَرْيَم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة** » . وقوله : « **خير نسائها** » ، قال القرطبي : الضمير عائد علىٰ غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني به الدنيا . [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٧٠) ، حديث رقْم (٦٤٠) ، وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين] ، وأيضًا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، قال : « **تدرون ما هذا ؟** » ، فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : « **أفضل نساء أهل** =

قول الشاعر :

ولو كُنَّ النساء كمن ذُكرنَ
لفُضِّلَتِ النساء على الرجالِ

ولذا فليس مجرد التأنيث بنقصٍ أمام مجرد التذكير ، بل الفضل وحيازته بما حصَّله كلٌّ منهما على حده ، وحينها تتفاضل الناس بأحسن الأعمال ، ومعالي الأخلاق ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ [الكهف : ٧] .

وكما امتدح النبي ﷺ أَشَجَّ عبدالقيس : « **إن فيك خصلتين يحبُّهما الله : الحِلْم والأَناة** »[1] ، فحُسْن العمل ، وجميل الخُلُق مطلوب من الجنسين الذكر والأنثى ، فالحِلْم والأَناة خُلُق كريم وصفة حميدة ؛ من اتصف بها ذكرًا كان أو أنثى صار محمود الخصال ، مألوف الطباع ، والعكس بالعكس . فمن اتصف بالعجلة والغضب ذكرًا كان أو أنثى صار مذموم الخصال ، يأنفه الناس .

وكأني أقف على مُراد الشاعر في قوله :

وما التأنيث لاسمِ الشَّمس عَيْبٌ
ولا التَّذكير فَخرًا للهلالِ

= **الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسِية بنت مزاحم امرأة فِرْعَون ، ومَرْيَم ابنة عمران**» ، [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩) ، حديث رقْم (٢٦٦٨) ، وإسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح] .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، ح (١٧) .

والإسلام حثَّ على استباق الخيرات ، وتحصيل الحسنات ، وندبَ إلى محاسن الأخلاق ، فحثَّ على إقامة أعمال واكتساب صفات ، ويتفاضل الناس حينها بقدر ما معهم من الإيمان ، وما اكتسبوا من العمل الصالح ، وما حصَّلوا من الخلق الكريم .

والإسلام ساوى بين الرجال والنساء في الأمور الدينية ؛ فلا فرق بينهم في العبادات والعمل الصالح ، يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] . ويقول سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، فلم يُفرِّقِ الإسلام بين الرجل والمرأة إلا في أمور يجب إقرارها لمصلحة الأفراد ومصلحة المجتمع ، كما أن تفضيل الرجل على المرأة محدود فيما سبق بيانه عند تفسير آية القِوامة(١) .

والإسلام يُقرِّر أهلية المرأة للعبادة والتكاليف الشرعية كالرجل سواءً بسواء ، قال تعالى : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن

---

(١) وقد سبق ذكر الأمور التي فُضِّل فيها الرجل على المرأة مُفصَّلة عند تفسير آية القِوامة ؛ فلا حاجة لإعادتها هاهنا .

يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٤] ، ولكلٍّ من الرجل والمرأة مسؤوليته الخاصَّة عن نفسه عند الله ؛ حيث لا تغني نفس عن نفس شيئًا ، قال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١] .

كما قرَّر لها أهليَّتها الاجتماعية والاقتصادية المستقلَّة عن الرجل استقلالًا تامًّا ، وترتَّب علىٰ تلك المسؤوليات المستقلَّة وَضْع المرأة مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأُخروي علىٰ درجة سواء علىٰ ما قدَّم كلٌّ منهما لنفسه من إحسان أو سوء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٨] .

كلُّ هذه النصوص – وغيرها كثير – تدلُّ علىٰ أن المرأة مُكلَّفة بما كُلِّف به الرجل من عبادات وتكاليفَ شرعيةٍ أخرىٰ ، وخطاب الشارع في هذا مُوجَّه إليها كما أنَّه موجَّه إليه ، إمَّا مفهومًا وإمَّا صراحةً ، ولا فرق في هذه التكاليف بين المرأة والرجل إلَّا في بعض التكاليف الشرعية ، التي تدعو طبيعةُ تكوين المرأة ، وطبيعةُ حياتها إلىٰ التسامح فيها بالنسبة لها ، كإسقاط فريضة الجهاد وصلاة الجُمُعة والجماعة في المساجد عنها ، وغير ذلك من التكاليف الشرعية التي أسقطها الإسلام عن المرأة مراعاةً لطبيعة تكوينها ورسالتها في الحياة ، كسقوط الصلاة عن المرأة زمن الحيض والنفاس ؛ فتتركها ولا تعيدها ؛ لحديث مُعَاذَة رضي الله عنها قالت : سألتُ عائشة رضي الله عنها فقُلتُ : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟!

فقالَت : أَحَرُورِية أنتِ ؟! قلتُ : لستُ بحَرُورِية ؛ ولكنِّي أسأل ! قالَت : « **كان يُصِيبُنا ذلك فنُؤمَر بقضاء الصوم ، ولا نُؤمَر بقضاء الصلاة** »[(١)] ؛ وذلك لكثرة خوف المشقَّة عليها ، والصيام يسقط عنها في زمنها ، وتقضي ما أفطرته من أيام رمضان ؛ لقلَّتها ويُسر قضائها .

والتكاليف الشرعية التي أُمرت بها المرأة كالرجل على حدٍّ سواء كثيرةٌ يصعب حصرها ، منها على سبيل المثال : فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، فهي كغيرها من التكاليف الشرعية ، كما كلَّف الله به الرجال كلَّف به النساء أيضًا ؛ ليقُمن به في نطاق الحدود التي رسمها الإسلام لهن .

وقد جاءت نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجَّهة إلى المكلَّفين جميعًا رجالًا ونساء ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

فهذه الآية صريحة في تكاليف النساء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالذكور ، وهذا ينسحب على غيرها من التكاليف الشرعية ، وأن المرأة والرجل فيه على حدٍّ سواء ، إلَّا ما جاء الدليل بخصوصه لأحدهما[(٢)] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/ ٢٥٦) ، ح (٣٣٥) .

(٢) يُنظر : حقوق المرأة في الإسلام (٣٥ ، وما بعدها) ، لفضيلة شيخنا الكريم الدكتور : محمد عبدالله عرفة أثابه الله ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط.١ (١٣٩٨هـ) ؛ ودور المرأة في المجتمع الإسلامي (٤٩-٥٠) ، لتوفيق علي وهبة ، دار اللواء ، ط.٣ (١٤٠١هـ) ؛ =

الشُّبُهات والمزاعم
المثارة حول القِوامة وتفنيدها

بالنظر إلىٰ مزاعم المناوئين لشرعية القِوامة وجدتُها لا تخرج عن إحدىٰ شبهتين مزعومتين ، وعماد ما يثيرونه يرجع إليهما :

الأولىٰ : أن القِوامة قهر وتسلُّط واستبداد .

الثانية : أن القِوامة هضم لحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

وسأورد كلًّا من الشبهتين مجملةً علىٰ حدة ، مُعقِّبًا علىٰ كلٍّ منهما بالردِّ والتفنيد .

● **الشُّبهة الأولىٰ** : أن القِوامة قهر وتسلُّط واستبداد .

وللردِّ عليهم نقول : « إذا كانت المؤسَّسات الأخرىٰ الأقلُّ شأنًا ، والأرخص سِعرًا : كالمؤسَّسات المالية والصناعية والتجارية ... وما إليها – لا يُوكل أمرها عادةً إلَّا لأكْفأ المرشَّحين لها ، ممن تخصَّصوا في هذا الفرع علميًّا ، ودُرِّبوا عليه عمليًّا ، فوق ما وُهِبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقِوامة ، إذا كان هذا هو الشأن في المؤسَّسات الأقلِّ شأنًا والأرخص

= والمرأة المسلمة أمام التحدِّيات (٥٣ ، وما بعدها) ، للشيخ : أحمد بن عبدالعزيز الحصين ، دار المعراج الدولية للنشر ، ط.١ (١٤١٨هـ) .

سِعرًا ؛ فأولىٰ أن تُتَّبع هذه القاعدة في مؤسَّسة الأسرة ، التي تُنشئ أثمن عناصر الكون ، العنصر الإنساني ... »[١] .

ثم نقول لهم أيضًا : ما دمتم متَّفقين معنا علىٰ ضرورة أن يكون هناك قيِّمٌ تُوكَل إليه الإدارة العامَّة لتلك الشركة القائمة بين الرجل والمرأة ، وما ينتج عنهما من نسلٍ ، وما تستتبعه من تبعات ؛ ما دمتُم كذلك فإن هناك خمسة احتمالات يمكن أن تُفرض بشأن القِوامة علىٰ الأسرة :

إمَّا أن تكون القِوامة الدائمة بيد الرجل ، أو تكون بيد المرأة ، أو أن يشتركا بالتساوي بينهما ، أو أن يتناوبا القِوامة وفق قسمة زمنية ، أو يتقاسماها باستقلالية تامَّة حسب الاختصاصات .

أمَّا بالنسبة إلىٰ الشركة في القِوامة في أشكالها الثلاثة الأخيرة سواء أكانت شركة كاملة مستمرَّة ، أو تقاسمًا في الاختصاصات ، أو تناوبًا وفق جدول زمني - فنتيجتها الحتمية الفوضىٰ والتصارع والتعالي والاضطراب وطرح المسؤوليات والأخطاء كلٌّ علىٰ كاهل صاحبه !

وقد دلَّت التجارب والعبر في تاريخ المجتمعات علىٰ فساد الشركة في الرئاسة للعمل الواحد ، وعدم جدواها ؛ وعلىٰ هذا فلم يبقَ إلَّا أحد احتمالين : إمَّا أن يكون الرجل هو القَيِّم ، أو تكون المرأة هي القَيِّم ، لكن : ثَمَّة سؤال نطرحه : أيهما أحقُّ أن يُفوَّض الأمر إليه بالقِوامة : من هو مُهيَّأٌ لها مُعانٌ عليها بمقتضىٰ فطرته ، أم من لم يُهيَّأ لها ، ولم يُعَن عليها ؟!

ليس الجواب إلَّا أن المستحقَّ للقِوامة هو من كان مُهيَّئًا لها ، مُعانًا

(١) يُنظر : في ظلال القرآن (٢/ ٦٥٠) .

عليها بمقتضىٰ فطرته ، وما وُهِب من خصائص وميزات . إذ من الظلم والجور أن تُكلِّف مَن لم يُهيَّأ لأمرٍ بالقيام عليه !

وبالنظر إلىٰ الخيارين السابقين : فإنَّا لا نجد الأحقَّ بالقِوامة وتحمُّل أعبائها إلَّا الرجل ؛ لما منحه الله سبحانه وتعالىٰ من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يُعينه علىٰ أداء وظائف هذه القِوامة ، وهذا ما اختاره الله عَزَّ وَجَلَّ للقيام بشأن الأسرة إذ يقول سبحانه : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ .

فالرجل بناءً علىٰ ما رُكِّب فيه من خصائص ، وما يتمتَّع به من قُدرات جسمية وعقلية فقد كُلِّف بالإنفاق علىٰ الأسرة ، وكُلِّف بدفع المهر في الزواج ، وليس من العدالة والإنصاف في شيء أن يُكلَّف الإنسان الإنفاق دون أن يكون له القِوامة والإشراف .

أمَّا المرأة فمرهفة العاطفة ، رقيقة الحِسِّ ، قوية الانفعال ، وناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرةً كبيرةً علىٰ مختلف نواحي حياتها النفسية ، وذلك حتىٰ يكون لها من طبيعتها ما يُتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية ، وهي الأمومة والزوجية علىٰ خير وجه .

وكيف تُؤهَّل للقِوامة علىٰ البيت ، وهي بطبيعتها لا تستطيع مواصلة القيام بأعمال القِوامة في كل الأوقات ؛ لأن ما يعتورها من موانع فطرية ، وأمور جبلِّية - كالحمل والولادة ، والحيض والنفاس - يضطرُّها إلىٰ الإخلاد للرَّاحة وملازمة الفِراش ، وهذا ممَّا يُعطِّل قيامها جسميًّا وعقليًّا بما تتطلَّبه القِوامة من أعمال ؟

وثمَّة سؤال آخر نطرحه علىٰ هؤلاء القوم :

فنقول : أيُّهما أجدَر أن تكون له وظيفة القِوامة - بما فيها من تبعات - الفكر أم العاطفة ؟

ولا ريب أن الجواب - المجرَّد عن الهوىٰ والغَرَض - أن الفكر هو الأجدر ؛ لأنه هو الذي يُدبِّر الأمور بعيدًا عن فَورة الانفعال واندفاع العاطفة ، ويُقدِّر العواقب ، ويستخلص النتائج بكلِّ رويَّة واتِّزان ، وهذه الصفات هي الصفات الأساسية المطلوبة لوظيفة القِوامة وتحمُّل المسؤولية .

وإذا ثبت أنه لا بدَّ من قائم علىٰ الأسرة ، فأي ظُلم في كون القائم بشؤونها هو الرجل ؛ لا سيَّما مع ما وُهِب من إمكانات ، وسُخِّر له من قُدرات يتحمَّل بها أعباء القِوامة .

وعليه : فمن جعل قِوامة الرجل للمرأة - التي هي محلُّ الرعاية والعناية ، والحماية والمدافعة - مَصْدَر تسلُّط وقهر واستبداد فقد كابر وعاند !

ووجود الظواهر السيِّئة في الاستبداد بالقِوامة ، لا يعني بحال أبدًا عدم صلاحية هذه الدرجة ، والعدل ألَّا نُحمِّل هذه الدرجة - أعني القِوامة - أخطاء الغالين ، ولا نُبرِّر بالغُلُوِّ دعاوىٰ الهالكين ... !

لأنه لا يستقيم أمر المجتمعات إلَّا برئيس قائم عليها ، قال الأفوه الأودي :

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُمْ
ولا سَراةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

والأسرة جزءٌ من المجتمع صغير ، ومن البَدَهي أن يكون لها مسؤولٌ أوَّل ، وهذا المسؤول الذي اختاره الله – جلَّت حكمته – للأسرة هو الزوج ، وليس في ذلك أدنىٰ هضم لحقوق المرأة ، أو امتهان لشخصيَّتها ، وانتقاص لكرامتها .

فالمرأة في الإسلام عزيزة مكرَّمة ، ودُرَّة مصونة محترمة ، لها من الحقوق والواجبات الهامَّة أكثر ممَّا للمرأة في أي مجتمع آخر[1] .

● **الشُّبهة الأُخرىٰ** : أن القِوامة هضم لحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

وأوَّل ما يدحض هذه الشُّبهة هو قول الله ﷻ : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

ويُقال لهؤلاء : قبل أن تطلبوا المساواة بين الرجل والمرأة ، فدعونا نبحث عن مساواتهما في أصل الخِلْقة واستعداد الفطرة ، فإن تساويا في أصل الخِلْقة واستعدادات الفطرة ، فادعوا – ونحن معكم – للمساواة بين الرجل والمرأة ... !

أما وقد خالف الله بين الرجل والمرأة في أصل الخِلْقة ، واستعدادات

(١) يُنظر – في كل ما سبق – إلىٰ : حقوق المرأة في الإسلام ، (٢٦٢ ، وما بعدها) ، لفضيلة شيخنا الكريم الدكتور : محمد عبدالله عرفة أثابه الله ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط.١ (١٣٩٨هـ) ، في ظلال القرآن (٢/ ٦٥٠) ، الأسرة المسلمة وقضايا العصر للسايح وصبري ، معالم في الثقافة الإسلامية (ص : ٢٦٦) لعبدالكريم عثمان ، قصة الزواج والعزوبة في العالم (١١٣–١١٥) للوحدواني ، مجلة لواء الإسلام ، عدد السنة (٢٩) سنة١٣٩٤هـ (٤٥–٤٦) ، مع الأسرة المسلمة ، مقال ضمن مجلة التضامن الإسلامي (١٢/ ٧٨– ٨٣) .

الفطرة ؛ فَوَهَب كلًّا منهما ما يناسبه ، ويتوافق مع فطرته ، ويتواءم مع طبيعته وجِبلَّته ، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] .

وهذا - عندي - من أعظم ما يُلجَم به أفواه الناعقين بتلك المزاعم ؛ إذ تُوصَد وتُرصَد - بهذا - في وجوههم الأبواب ، وتضيق بهم السُّبُل ، وتعيا بهم الحِيَل ؛ لأنهم يواجهون ما لا تنكره عينٌ ، ولا يردُّه عقلٌ ، إنها شواهد الفطرة التي ركَزها الله في خلقه ، ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

« المرأة تختلف عن الرجل في كثير من الظواهر والبواطن ، في مادة الدم ، ونبضات القلب ، وعوارض التنفس ، وفي سحنة الوجه ... ، وهندام الجسم ، ونغم الصوت . ولا يَزعُم أن المرأة هي الرجل ، والرجل هو المرأة إلَّا مَن يُنكر الحِسَّ ، ويُناقض البداهة ؛ فالخبرة والبَداهَة تَرسُمان للمرأة مجالًا هو : القيام على النسل ، وما هو بالعمل الهيِّن ولا الحقير ، وتَرسُمان للرجل مجالًا هو : عِراك الحياة ، وشؤون السلطان ، وما هو بالعمل الكبير عليه ، ولا هو بالنصيب الذي يُحسَد عليه »(١) .

ثم إن أسباب هذه القِوامة : هي تفضيل الله للرجال بمقوِّمات القِوامة ، وما تتطلَّبه من خصائص ، فقد فُضِّل الرجال على النساء في أصل الخِلْقَة ، وأعطاهم ما لم يُعطِهن من الحول والقوَّة ، فكان التفاوت

---

(١) يُنظر : مجلة النور ، السنة السابعة ، العدد (٧١) ، (ص : ٦٦) ، مقال : لماذا يختلف الزوجان ؟ ومنه بالإحالة على كتاب : مطالعات في الكتب والحياة ، للأستاذ : عباس محمود العقاد .

في التكاليف والأحكام إثْر التفاوت في الفطرة والاستعداد ، وثَمَّ سبب آخر كسبي ، يدعم السبب الفطري ، وهو ما أنفق الرجال علىٰ النساء من أموالهم .

وعليه : فحاصل ما به الفضل قسمان : فطري ، وكسبي .

فالفطري : هو أن مزاج الرجل أقوىٰ وأكمل وأتمُّ ، ويتبع قوَّةَ المزاج وكمال الخِلْقَة قوَّةُ العقل وصحَّة النظر في مبادئ الأمور وغاياتها ، ويتبع ذلك الكمال في الأعمال الكسبية ، فالرجل أقدر علىٰ الكسب والاختراع والتصرُّف في الأمور ؛ فلأجل هذا كانوا هم المكلَّفين أن يُنفقوا علىٰ النساء ، وأن يحموهن ويقوموا بأمر الرياسة العامة[١] .

وذلك لما للرجال من زيادة قوَّة في النفس والطبع ما ليس للنساء ؛ لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليُبُوسة ، فيكون فيه قوَّة وشدَّة ، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة ، فيكون فيه معنىٰ اللين والضعف ، فجعل لهم حقَّ القِيام عليهن بذلك ، وبقوله تعالىٰ : ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[٢] .

فتبيَّن أن مرجع ذلك الاستحقاق إلىٰ مُقتضىٰ سُنن الفطرة في تعليل أحكام دين الفطرة ، ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

---

(١) يُنظر : تفسير المنار (٥/ ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠) ، وفي ظلال القرآن (٢/ ٦٤٩) .

(٢) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٢) .

منشأ دعايات التَّحرير

لقد كان مَهْد انطلاق هذه الدعاوىٰ الكبرىٰ من وكر المؤتمر الماسوني اليهودي في فرنسا ، حيث مركز قيادة جمعية صهيون القائم هناك ، ويتَّضح ذلك جليًّا بالوثائق التي تسرَّبت في نهاية إحدىٰ الاجتماعات السرِّية ، ونُشرت تحت عنوان : « بروتوكولات حكماء صهيون » في عام ١٩٠٢م .

وهي تصف بدقَّة ووضوح عجيبين خطَّةً وتطورًا لمؤامرة عالمية مشؤومة ، موضوعها الذي تشمله هو جرُّ العالم إلىٰ التفكُّك والانحلال المحتوم !

يقول أوَّل ناشر لهذه البروتوكولات : وبالتفرُّس المبدئي خلال هذه المذكرات قد تشعرنا بما تُشعرنا به أمام ما نسمِّيه عادةً الحقائق المسلَّمة ؛ إنها تظهر في هيئة الحقائق المألوفة كثيرًا أو قليلًا ، وإن عُبِّر عنها بحدَّة وبغضاء دينية ، وعنصرية عميقة الغور متغطرسة ، قد خُبِئت بنجاح أمدًا طويلًا ، وإنها لتجيش وتفيض - كما هو واقع - من إناء طافح بالغضب والنِّقمة ... ، وهي تحملنا علىٰ أساس الإحساس بأنها جزءٌ من عمل أخطر وأهمَّ[1] .

وسنعرض إلىٰ كشف هذه اللقاءات المبرمة ، حيث أنتجت هذه الوثائق المدبَّرة :

---

(١) يُنظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، (١٣ - ١٤ ، ١٥٠) ، في مقدمة وتعقيب الأستاذ / سرجي نيلوس ، أول ناشر للبروتوكولات .

• فممَّا في وثائقهم تبنِّي الدعايات إلىٰ التحرُّر والمساواة ، يتجلَّىٰ ذلك بقراءة البروتوكول التاسع ، حيث يقول : « إن الكلمات التَّحرُّرية لشعارنا الماسوني هي « الحرية ، والمساواة ، والإخاء » ، ولن نبدِّل كلمات شعارنا ، بل سنصوغها معبِّرةً ببساطة عن فكرة ، وسوف نقول« حقُّ الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الإخاء » ، وبها سنمسك الثَّور من قرنيه ! وحينئذ نكون قد دمَّرنا في حقيقة الأمر كلَّ القوىٰ الحاكمة إلَّا قوَّتنا ، وإن تكن هذه القوىٰ الحاكمة – نظريًّا – ما تزال قائمة »[١] .

• واليهود يُصرِّحون بأنَّهم أوَّل الدَّاعمين إلىٰ رفع شعارات التحرُّر والمساواة ، فهم القائلون : « كذلك كُنَّا قديمًا أوَّل من صاح في الناس « الحرية ، والمساواة ، والإخاء » ، كلمات ما انفكَّت تردِّدها منذ ذلك الحين ببَّغاواتٌ جاهلة متجمهرة من كلِّ مكان حول هذه الشعارات ، وقد حرمَت بتردادها العالم من نجاحه ، وحرمَتِ الفرد من حرِّيته الشخصية الحقيقية ، التي كانت من قبل في حِمَىٰ يحفظها من أن يخنقها السَّفَلَة »[٢] .

وهذه تجلية لحقيقة الواقع الذي نعيشه اليوم في بلاد المسلمين بعامَّة ، وفي بلاد العرب بخاصَّة ، فلا تسمع إلَّا النداءات المضلِّلة ، والشعارات المزيَّفة ، تحت بريق إعلامي ، وغطاء تنويري ، ترفعها أصوات الببَّغاوات الجاهلة ، وتؤيِّدها العلمانية الحاقدة !

• ولهذه الدعايات من ينشرها ، ويُزيِّنُها للناس في بلاد المسلمين ، تدعمها القوىٰ الخفية لليهود ، إذ هم القائلون : « إن صيحتنا « الحرية ،

---

(١) يُنظر : المصدر السابق ، (ص :٦٢) ، البروتوكول التاسع .
(٢) يُنظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، (ص :٣١) ، البروتوكول الأول .

والمساواة ، والإخاء » ، قد جَلَبَت إلىٰ صفوفنا فرقًا كاملةً من زوايا العالم ؛ عن طريق وكلائنا المغفَّلين ، وقد حملَت هذه الفِرَق ألويتنا في نشوة »[١] .

« إن أدعياء الحكمة والذَّكاء من الأمميين – غير اليهود – لم يتبيَّنوا كيف كانت عواقب الكلمات التي يلوكونها ، ولم يلاحظوا كيف يَقِلُّ الاتفاق بين بعضها وبعض ، وقد يُناقض بعضها بعضًا ، إنَّهم لم يرَوا أنه لا مساواة في الطبيعة ، وأن الطبيعة قد خَلَقَت أنماطًا غير متساوية في العقل والشخصية والأخلاق والطَّاقة ، وكذلك في مطاوعة قوانين الطبيعة »[٢] .

وهذه شهادة أعداء الله علىٰ أنفسهم ، وعلىٰ عملائهم الناشرين لمبدئهم ، واليهود يدركون تمامًا مدىٰ هذه الدعاوىٰ وفسادها وتعارضها مع دين الله وفطرته ؛ فهم القائلون : « إن كلمة الحرية تزجُّ بالمجتمع في نزاع مع كلِّ القوىٰ حتىٰ قوَّة الطبيعة وقوَّة الله »[٣] .

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

وهم يُدركون – أيضًا – معنىٰ الحرية الحقَّة وضوابطها ، نتبيَّنه حين نقرأ قولهم : « يمكن ألَّا يكون للحرية ضرر ، وأن تقوم في الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارَّة بسعادة الناس ، لو أن الحرية كانت

(١) يُنظر : المصدر السابق ، (ص : ٣٣) ، تحت البروتوكول الأول .
(٢) يُنظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، (ص : ٣٢) .
(٣) يُنظر : المصدر السابق ، (ص : ٤٥) ، تحت البروتوكول الثالث .

مؤسَّسة على العقيدة وخشية الله ، وعلى الأخوَّة الإنسانية ، نقيَّة من أفكار المساواة ، التي هي مناقضة مباشرة لقوانين الخَلْق »[١] .

فهم كما وصفهم ربهم الخبير بهم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

ولمَّا عَلِم أعداء الله ورسله وأعداء البشرية أن ذلك لا يمكن انتشاره إلَّا بتبنِّي عواملَ مؤثِّرةٍ في الناس تؤدِّي غرضهم بنجاح ؛ كان الإعلام بؤرة فسادِهم ، ونقطة بدئهم لتنفيذ مخطَّطهم ، وتحقيق مطمعهم ، وقد أحكموا أمرهم حين تبنَّوا مقولتهم : « الأدب والصحافة هما أعظم قوَّتين تعليميَّتين خطيرتين ... ، وبهذه الوسيلة سنظفر بسلطان كبير جدًّا على العقل الإنساني ... ، وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب ، وسنكون قادرين على إقناعهم وبلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة ، حقائق أو ما يناقضها ، حسبما يوافق غرضنا . وإن الأخبار التي سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذي يتقبَّل الشعب به ذلك النوع من الأخبار ، وسنحتاط دائمًا احتياطًا عظيمًا لجسِّ الأرض قبل السير عليها »[٢] .

« **سنعامل الصحافة على النهج الآتي :**

ما الدَّور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر ؟

إنها تقوم بتهييج العواطف الجيَّاشة في الناس ، وأحيانًا بإثارة

---

(١) يُنظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، (ص :٣١) ، تحت البروتوكول الرابع .

(٢) يُنظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، (٨٦ ، ٨٩) ، تحت البروتوكول الثاني عشر .

المجادلات الحزبية الأنانية ، التي ربَّما تكون ضرورية لمقصدنا ، وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة ! ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقلَّ إدراك ! إننا سنسرجها وسنقودها بِلُجُم حازمة ! »[١] .

فوا أسفاه ... ! إنك لتجد العالم الإسلامي يرزح تحت نِيْر هذه الألاعيب ، وقد وقع في شِراك الأعداء ، وحبائل اليهود الألدَّاء !

* * *

(١) يُنظر : المصدر السابق ، (٨٢ - ٨٣) ، تحت البروتوكول الثاني عشر .

ماذا يَنقِمون من قِوامة الرجل للمرأة ؟!

وإنك لَتَعجب من هذه الحملات التي تصوِّب سهامها علىٰ هذه القِوامة ! وماذا يُخيف المرأة من قِوامة الرجل ؟! بل ماذا يرهب دعاة التمرُّد علىٰ قِوامة الرجل من تلك القِوامة ؟! وماذا يريدون للمرأة أفضل وأكرم وأقدس من تلك المكانة التي بوَّأها الإسلام إيَّاها ، وتلك الرعاية والحماية والتكريم التي أحاطها الإسلام بها ، إن كانوا حقًّا ينشدون خير المرأة وصلاحها وفلاحها ؟!

ولكنهم يهدفون إلىٰ تحطيم ذلك الحصن المنيع للمرأة – قِوامة الرجل – الذي جعله الإسلام لها حمًىٰ وسِترًا وملاذًا بعد الله ؛ يحميها عاديات الزمن ، وصروف الحياة ، وتقلُّبات الدَّهر ، ويكون سدًّا منيعًا ، وسياجًا وثيقًا دون دُعاة التحلُّل والانحراف وما يريدونه من تغرير بالنساء ؛ ليسهُل عليهم غوايتهن .

ولمَّا فشِلوا في تحطيم ذلك الحصن بأيديهم ، استخدموا في ذلك عواطف النساء ، فألَّبوهن وحرَّضوهن علىٰ تحطيم تلك القِوامة ، وصوَّروها لهن – ظُلمًا – بأنها قَيْدٌ من قيود الرِّقِّ والاستعباد لهن ، فاندفعت فئام من النساء بكلِّ ما أُودِع فيهن من غريزة الاندفاع ، خلف أولئك الناعقين ، تُصدِّقهم وتُنفِّذ ما يريدون ؛ حتىٰ يَتِمَّ لهم ما أرادوا من تمرُّد للمرأة علىٰ قِوامة الرجل ، وخروج عليه ؛ ليصبح لها مُطلق الحرية ... زعموا !

وحينذاك يتفرَّدوا بها عَزلاء من أي سلاح ؛ ليتفنَّنوا في وسائل إغرائها وإغوائها ، وهي تلهث خلف ذلك السراب ، وتركض وراء تلك المغريات .

ولا تعلم المسكينة أن هذا حبال وشَرَكٌ نُصِب لها ؛ لإخراجها من مكمنها الحصين ، حتىٰ تسقط مستسلمة ؛ لتسقط كرامتها ، ويهون مَطلبها ، ويسهُل الوصول إليها .

حتىٰ غدت كلُّ مخدوعة تجري خلف الرجل ، وتسقُط تحت أقدامه تُغريه بنفسها ، وتُحبِّبه إلىٰ قلبها ، وتستجدي قُرْبَه وحُبَّه ، بعد أن كان هو الذي يخطُب وُدَّها ، ويَبذُل الغالي والثَّمين في سبيلها[1] .

* * *

(١) يُنظر : حقوق المرأة في الإسلام ، (٢٦٧-٢٦٩) ، بتصرُّف يسير .

أثر القِوامة
في تحقيق السَّكن النفْسي بين الزوجين

من تنظيم مؤسَّسة الأسرة وضبط الأمور فيها أن وزَّع الإسلام الاختصاصات فيها ، وحَدَّد الواجبات ، وبيَّن الإجراءات ، التي تُتَّخَذ لضبط أمور هذه المؤسَّسة والمحافظة عليها من زعازع الأهواء والخلافات ، واتِّقاء عناصر التهديم فيها والتدمير جهد المستطاع .

ومن أهم تلك الواجبات ، وأبرز تلك الاختصاصات التي تضبط سير الأسرة وتشدُّ كِيانها : أن يكون الرجل هو القَيِّم على المرأة في أسرته ؛ ليصون بذلك الأسرة من التصدُّع أوِ الانهيار ، ويحميها من النزوات العارضة ، وتكون المرأة هي المحضن لأبنائها ، تضمُّ الناشئة بتربيتها وعطفها وحنانها .

فإذا ما عرف كلٌّ من الزوجين اختصاصه ودوره ، كانت الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولَّى حماية الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ، وفي ظل هذا التفاهم بين الزوجين يستقرُّ بينهما الوئام ، وينشأ الوفاق ؛ بالتقاء مشاعر الحبِّ والوداد والرحمة والتكافل .

وصدق الله جلَّ وعلا إذ يقول : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] ، فأودع في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعل في تلك الصِّلة سكنًا للنَّفس والعصب ، وراحةً للجسم والقلب ، واستقرارًا للحياة والمعاش ، وأُنْسًا للأرواح والضمائر ، واطمئنانًا للرجل والمرأة نحوهما على السَّواء ، إذ يجد كلٌّ منهما عند خليله الراحة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء ، والمودَّة والرحمة(١) .

إن على الزوجين لئلا يتصدَّع كِيان الأسرة ، أن يعرف كلٌّ منهما ما أُنِيط به من تكاليفَ وواجباتٍ ، والإسلام قد أوضح أن حياة الرجل والمرأة معًا في إطار الأسرة إنما قُصِد به التعاون على تهيئة الظروف المثلى ، التي تتحقَّق في ظلالها السعادة المنشودة ، بل جعل الأسرة ميثاقًا مؤكَّدًا ، وعهدًا مشهودًا بين الزوجين مغلظًا ، كما قال تعالى : ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء : ٢١] ؛ وذلك لأجل أن يعمل كلٌّ منهما من أجل صاحبه ، وأن يتعاضدا ويتآزرا لتحقيق السعادة الزوجية المشتركة بينهما .

الزوجية يندرج أساسها تحت أصلين عظيمين ، وركنين وثيقين :

أحدهما : علاقة السكن التي تجدها في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

وثانيها : علاقة المودَّة والرحمة في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١] ، وقد عُني الإسلام بإبراز الصِّلة النفسية والرُّوحية بين الزوجين وتأكيد ما بينهما من رباط قوي وميثاق غليظ ؛

---

(١) يُنظر : في ظلال القرآن (١/ ٢٣٥ ، وما بعدها) ، (٢/ ٦٥٠ ، وما بعدها) ، (٥/ ٢٧٦٣ ، وما بعدها) .

إذ بينهما من الوشائج القوية والصلات الراسخة ما ينبغي أن يحملهما علىٰ التراحم والتآلف ، وتعصمهما من البغي والعدوان ؛ فهما من نفس واحدة ، تربطهما كلُّ خصائص هذه النفس وأواصرها[1] .

* * *

(١) يُنظر : الأسرة في الإسلام ، (ص : ٤٧) ، للدكتور : مصطفىٰ عبدالواحد ، دار البيارق العربي بجدة ، ط.٤ (١٤٠٤هـ) .

سبب اختلاف الأزواج

عندما لا يكون مفهوم القِوامة واضحًا عند الزوجين ، يدبُّ بينهما الخصام ، وتنشأ الخلافات .

وتجد مفهوم القِوامة غير واضح المعالم لدىٰ الزوجين في صور شتَّىٰ ، لعلَّ من أبرزها :

أنك تجد شريحةً من نساء هذا العصر - نتيجة للغزو الفكري واستفحال مساربه في غالب شؤون الحياة ، ورضوخًا تحت فَورة التقليد المجتمعي ، والتشبُّه بالنمط الغربي - تقول : إنها تريد المساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات !

بل ولا تريد أن يكون الرجل هو المتحكِّم في شؤون البيت والمسيِّر له ؛ فترفض آراء زوجها ومقترحاته ، بل وتريد أن يكون الرجل دائمًا طوعَ بنانها وأمرها ورهنَ إشارتها ؛ حتىٰ تكون كلماتها هي النافذة أوَّلًا وأخيرًا ، وخاصَّة عندما يكون للزوجة من رفيقات السوء مَن تُزيِّن لها الخلاف المستمِرَّ ، وتدعوها إلىٰ الشقاق والتمرُّد علىٰ أوامر الزوج وقِوامته الشرعية ، وعندها حدِّث عن الخلافات التي تحصل بينهما ولا حرج !

والذي ينبغي أن تدركه المرأة أن حقَّ القِوامة ليس تسلُّطًا ولا قهرًا كما أسلفنا ، وإنما هو تكليفٌ ربَّانيٌّ ؛ لكي تسير شؤون الأسرة بنظام وترتيب ، بعيدًا عن العشوائية والفوضىٰ .

وكذلك ينبغي علىٰ الزوج أن يفهم حقيقة القِوامة ؛ ولا يغالط في تصوُّرها علىٰ أنها نوع من التسلُّط والقهر ، وأن كلمته لا تُراجَع ، ولا مجال للمناقشة والمشاورة ؛ فيعامل المرأة وكأنها من سقط المتاع ، وليس لها دورٌ سوىٰ إنجاب الأطفال ، وترتيب شؤون البيت ، دون أن يكون لها حقٌّ في إبداء الرأي والنُّصح والمشورة ، كشريكة للزوج في شؤون حياته[1] .

وعلىٰ الضدِّ من ذلك – في باب التفريط – تجد من تخلَّىٰ عن قِوامته ، وأسلم قياده لزوجته ؛ فإرادته تابعة لإرادتها ، ورأيه مُلغًىٰ أمام رأيها ، فقولها هو القول ، ورأيها هو الفصل ، فتفرض علىٰ الزوج سياجًا محكمًا لا مَعْدَىٰ عنه ولا محيص ، وتُحيله إلىٰ خادم مشكوك في إخلاصه ونواياه !

والذي يدفعها إلىٰ ذلك دافع الغرور بالمال ، أو الجمال ، أو الجاه ، أو غير ذلك ، وإذا اجتمع إلىٰ ذلك ضعف الزوج واهتزاز شخصيَّته فقد وافق شَنٌّ طبَقَةَ ! فلذلك تخرج المرأة متىٰ شاءت ، وتلبَس ما شاءت ولو كان لباس شهرة أو تبرُّج أو تشبُّه بالكافرات ، وربَّما تدخَّلَت في شؤونه الخاصَّة وعلاقته مع الآخرين ! فتكون بذلك هي القوَّامة عليه ، والمتصرِّفة في زمام أمره ! وهذا خلاف ما تأمر به الشرائع السماوية والفِطَر السوية .

والرجل الحقُّ لا يمكن أن يدع المرأة تتسلَّط عليه ، كما لا يمكن أن يدعها تسلبه مكانته الشرعية المتمثِّلة في القِوامة ورعاية الأسرة ، فيكون بذلك غرضًا للذَّم ، وعرضة للَّوْم ؛ إذ يُعدُّ من سقط المتاع ، وتنزل درجته في أعين الرجال .

---

(١) يُنظر : مجلة النور ، السنة السابعة ، العدد (٧١) ، محرم ١٤١٠هـ ، (٦٦-٦٧) ، مقال بعنوان : لماذا يختلف الزوجان ؟ ، كاتبته : أم عمار موسىٰ باشا .

والكُمَّل من الرجال ، قلَّما طاب لهم عيش مع زوجات تكون كلماتهن فوق كلامهم ، ولا يعني ذلك أن يكون الرجل مستبِدًّا ؛ فيجعل من زوجته أداة يُسيِّرها كيفما شاء ، ويسلبها حقوقها ، فذلك إهدار لكرامتها .

وقلَّما أخلصَتِ النساء لمن يهضم حقوقهن ، ويُسيء إليهن العشرة ، وإنما المقصود أن يحافظ الرجل على قِوامته ، وأن تقف المرأة عند حدودها فلا تتعدَّاها إلى ما لا يعنيها .

ثم إن القِوامة على المرأة حقٌّ لها ، ولن تجد للسعادة طعمًا طالما أن الزوج مفرِّط في ذلك الحقِّ .

والإسلام أنقذ المرأة من أيدي الذين يزدرون مكانها ، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها ؛ فقرَّر لها من الحقوق ما يكفل راحتها ، وينبِّه على رفعة منزلتها ، ثم جعل للرجل حقَّ رعايتها وإقامة سياج بينها وبين ما يخدش كرامتها ويُهدِر حقَّها[١] .

* * *

(١) يُنظر : من أخطاء الأزواج ، (١٧-١٨) ، للشيخ : محمد بن إبراهيم الحمد ، تحت سلسلة أخطاء في السلوك والتعامل ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط.١ (١٤١٩هـ) .

الصدع في كِيان الأسرة

الأسرة لا تسير بلا قِوامة أبدًا كسائر المؤسَّسات الأقلّ شأنًا والأرخص سعرًا ، إن مسألة القِوامة مسألة خطيرة ، أخطر من أن يتحكَّم فيها أهواء البشر ، وأخطر من أن تُترَك لهم يخبِّطون فيها خبْطَ عشواء ، وحين تُرِكت لهم ولأهوائهم في الجاهليات القديمة والحديثة هدَّدت البشرية تهديدًا خطيرًا في وجودها ذاته ، وفي بقاء الخصائص الإنسانية التي تقوم بها الحياة الإنسانية وتتميَّز .

ولعلَّ من الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكُّمها ، ووجود قوانينها المتحكِّمة في بني الإنسان حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكَّرون لها – لعلَّ من هذه الدلائل ما أصاب الحياة البشرية من تخبُّط وفساد ، ومن تدهور وانهيار ، ومن تهديد بالدمار والبوار ، في كل مرَّة خولِفَت فيها هذه القاعدة ، فاهتزَّت سلطة القِوامة في الأسرة ، واختلطَت معالمها أو شذَّت عن قاعدتها الفطرية الأصيلة !

ولعلَّ من الدلائل على تزعزع استقرار الأسرة كلما اهتزَّت سلطة القِوامة فيها توقانَ نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القِوامة على أصلها الفطري في الأسرة ، وشعورَها بالحرمان والنقص والقلق وقلة السعادة عندما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القِوامة وتنقصه صفاتها اللازمة ؛ فيكِل إليها هي

القِوامة ! وهي حقيقة ملحوظة تسلِّم بها حتىٰ المنحرفات الخابطات في الظلام[(١)] !

ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية وفساد النظام ؛ يرىٰ أن الثابت في غرائزهن أن خير الأزواج بالاختيار من كان قادرًا علىٰ الكسب ، وحماية النسل ، وصيانته ، وما تتوقَّف عليه تربيته إلىٰ أن يبلغ أشدَّه[(٢)] .

وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير جهاز الأسرة لا يُعوِّض عنها ، ولا يقوم مقامها ، بل لا يخلو من أضرار مُفسِدة لتكوين الطفل وتربيته ، وبخاصَّة نظام المحاضن الجماعية ، التي أرادَت بعض المذاهب المصطنعة أن تستعين بها عن نظام الأسرة في الإسلام ، وذلك في ثورتها الجامحة الشاردة المتعسِّفة ضدَّ النظام الفطري الصالح القويم ، الذي جعله الله للإنسان ، أو التي اضطرَّت بعض الدول الأوربِّية اضطرارًا لإقامتها بسبب فقدان عدد كبير من الأطفال لأهليهم في الحرب الوحشية المتبربرة ، التي تخوضها الجاهلية الغربية المنطلقة من قيود التصوُّر الديني ، والتي لا تُفرِّق بين المسالمين والمحاربين ! أو التي يُضطَرُّ إليها بسبب النظام المشؤوم الذي تضطرُّ الأمهات فيه إلىٰ العمل ، تحت تأثير التصوُّرات الجاهلية الشائهة للنظام الاجتماعي والاقتصادي المناسب للإنسان ، وهذه النكبة التي تحرم الأطفال حنان الأمهات ورعايتهن في ظلِّ الأسرة ، وتقذف

---

(١) يُنظر : في ظلال القرآن ، (٢/ ٦٥١) .

(٢) يُنظر : حقوق المرأة في الإسلام ، نداء للجنس اللطيف ، للشيخ : محمد رشيد رضا ، (ص : ٢٩) ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط.٢ (١٤١٥هـ) .

بهؤلاء المساكين إلىٰ المحاضن ، التي يصطدم نظامها بفطرة الطفل وتكوينه النفسي ، فيملأ نفسه بالعقد والاضطرابات .

وأعجب من هذا العجب أن انحراف التصوُّرات الجاهلية ينتهي بناس من المعاصرين إلىٰ أن يعتبروا نظام العمل للمرأة تقدُّمًا وتحرُّرًا وانطلاقًا من الرجعية ! وهو هو هذا النظام الآثم ، الذي يضحِّي بالصحَّة النفسية لأغلىٰ ذخيرة علىٰ وجه الأرض الأطفال رصيد المستقبل البشري[1] .

* * *

(١) يُنظر : في ظلال القرآن (١/ ٢٣٥-٢٣٦) .

وقفة مع الأسرة المسلمة

وهذا نداء لكلِّ أسرة مسلمة لا بدَّ أن تَعِيَه ، وهو بناء أمرها على المودَّة والرحمة ، والسكن والألفة ، والإيثار لا الأثرة .

فإن هذه المعاني الأخلاقية السامية إذا سارت بين الزوجين وسائر أفراد الأسرة حالَت دون تفكير أي فرد من أفرادها في الاستئثار بالرئاسة والتحكُّم بمن تحت يده ، كما أنها تترفَّع عن مستوى المشاحَّة في الحقوق والتنازع حول ما لكلٍّ وما عليه .

وعلى المرأة أن تدرك تمامًا أن العلاقة التي تربط بينها وبين زوجها علاقة تكامل لا تماثل ! كشأن كلِّ المخلوقات المزدوجة التي خلقها الله في الكون ؛ لتؤدِّيَ غرضًا واحدًا اقتضَته حكمته تعالى ، كالليل والنهار ، وغيرهما ممَّا خلق الله من أزواج : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

وعليه فهي تتفهَّم دورها التكامليَّ الذي فطرها الله عليه بصفات خاصَّة ؛ لتكون به زوجة وأمًّا وراعية مسؤولة عن رعيتها ، بالإضافة إلى تقديرها لمهمَّة زوجها التي فطره الله عليها ، وزوده بصفات خاصَّة تتناسب والمسؤولية الملقاة على عاتقه من أجلها ، فالله : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] .

فالمرأة الصالحة المتبصِّرة تُعرِض عن دعاوىٰ شياطين الإنس ذكورهم وإناثهم ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، سواء من يدَّعون أن قِوامة الرجل استبداد تاريخي ، وتحكُّم فرضته ظروف اقتصادية علىٰ المرأة ، وأنه قد آن للنساء أن يتحرَّرن من رِبْقَة هذا الرقِّ ! أو كُنَّ من اللواتي انخدعن بهذه التُّرَّهات ، فنعقْنَ مع الناعقات اللآئي تنكَّرْنَ لأُنوثتِهن وأمومتِهن وفطرتِهن ، فشقَينَ وأشقَينَ أسرَهن ومجتمعاتِهن .

* * *

واقع المجتمعات
الدَّاعية لحرية المرأة ومساواتها بالرجل

واقع هذه المجتمعات المتفسِّخة والأسر المحطَّمة في بلاد الشرق والغرب خير دليل يؤكِّد للمرأة المسلمة الواعية صدق ما اعتقدَت ، وخير ما طبَّقَت .

بل إن هذه الخاصية التي فقدها رجال الغرب والشرق ، بعد أن تنكَّرَت نساؤهم لفِطَرِهن ورفضْنَ قِوامة الرجال ، فقدَت سفينة الزوجية في تلك البلاد بسببها موجِّهَها وأشرِعَتَها ، وتاهت في بحار الضياع والشقاء ؛ ممَّا جعل النساء أنفسهن الناعقات بالأمس بطلب المساواة المطلقة مع الرجل والخارجات عن قِوامة الأزواج يرجعْنَ إلىٰ ما فُطِرْنَ عليه ، وتطلَّعن إلىٰ من يقوم علىٰ شؤونهن وشؤون أسرهن إن بقيت هنالك أسر !

والسعيد من وُعِظ بغيره ، والشقيُّ من كان عظةً وعبرة لنفسه ولغيره ، والعقلاء من بني الإنسان هم من بدءوا التجارب من حيث انتهىٰ الناس ، لا من حيث بدءوا ، فهاهم المجرِّبون يكشفون عُوار الطريق والْتواءه ، وأنه انتهىٰ بهم إلىٰ هاوية سحيقة ، فأين المتعظون من دعاة تحرير المرأة ... ؟!

* * *

نماذج من ضحايا التجارب

هذه نماذج ممَّن عِشْنَ حياة البؤس ، وتجرعْنَ مرارة تلك الدعاوىٰ ، هاهن بعد خوضهن للتجارب المؤلمة يعشْنَ الحقائق المفجعة ، وإليك بعضًا من هذه النماذج[1] ، وغيرها كثير ، والأكثر ممن لم يكتبْنَ أو يتكلمْنَ فكنَّ ضحية الصمت :

١ – في صحيفة الأهرام المصرية ، العدد الصادر يوم ٢٩مايو ١٩٦١م نشرت تحت عنوان : « أستاذة جامعية تنصح طالباتها بالزواج » قالت الأهرام : « ... أستاذة جامعية في إنجلترا وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبة وطالبات لها ، تُلقي خطبة الوداع بمناسبة تقديم استقالتها من التدريس . قالت الأستاذة : ها أنا قد بلغتُ الستين من عمري ، وصلتُ فيها إلىٰ أعلىٰ المراكز ، نجحتُ وتقدَّمتُ في كلِّ سنة من سنوات عمري ، أُتيحَت لي الفرصة أن أزور العالم كلَّه ، ونسيتُ في غمرة انشغالي ما هو أهمُّ من ذلك كلِّه : **أن أتزوَّج وأُنجِب أطفالًا وأستقرُّ** ... »[2] .

٢ – إليك نصُّ رسالة الممثلة الشهيرة : « مارلين مونرو » التي كتبَتها لفتاة قبل أن تنتحر ! وقدِ انتحرت رغم وصولها إلىٰ قمَّة الشهرة والمال والجمال . وهذه هي نصيحتها إلىٰ فتاة تطلب نصيحة مارلين عن الطريق

---

(١) يُنظر : مرآة المرأة ، مبثوثة في صفحات الكتاب .

(٢) مجلة المجتمع (١٠٩٤/ ٦٥) .

إلىٰ التمثيل ، قالت : « احذري المجد ، احذري كلَّ من يخدعك بالأضواء ، إني أتعس امرأة علىٰ هذه الأرض ؛ لم أستطع أن أكون أُمًّا ، إني امرأة أُفضِّل البيت – الحياة العائلية – علىٰ كلِّ شيء ، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة . بل إن هذه الحياة لهي رمز سعادة المرأة ... ، بل الإنسانية »[1] .

٣– تقول « الليدي هارليك » زوجة « اللورد هارليك » سفير إنجلترا السابق في أمريكا : « حقيقة إن أسهل شيء عند المرأة هذه الأيام هو أن تعلن استقلالها ، وأنها تتساوىٰ مع الرجل في العمل . أما منزلها وأسرتها فهما يحتلَّان المرتبة الثالثة أو الرابعة . وقد أزعجني جدًّا – وأحرجني في الوقت نفسه – أن أجد بعض النساء يُفاخرْنَ بأنهن لا يُجِدْنَ الطهيَّ أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل ، والأكثر إحراجًا أن كثيرًا من نساء هذه الأيام يعترفْنَ بلا خجل أنهن لم يقرأْنَ في حياتهن افتتاحية صحيفة ، أو تابعْنَ مناقشة سياسة في التلفزيون ، أو لم يسمعْنَ عن كتاب شهير .

ولاحظتُ أيضًا أن المأساة بالنسبة إلىٰ المرأة أن تتخلَّىٰ عن واجباتها الحيوية كامرأة ، أن تتخلَّىٰ عن إقامة بيت طيِّب وسعيد ، أن تتخلَّىٰ عن الطهيِّ والحياكة وإنجاب أولاد ظُرفاء ، أن تتخلَّىٰ عن كلِّ مسؤولية تُجاه الأسرة مقابل أن تعيش كما تشاء »[2] .

٤– تقول الكاتبة الشهيرة : « آني رورد » في مقالة نشرتها في جريدة « الاسترن ميل » في عدد١٠مايو١٩٠١م : « لَأَنْ يشتغل بناتنا في البيوت

---

(١) (رسالة إلىٰ حواء/ ١) .

(٢) (رسالة إلىٰ حواء) .

خوادم أو كالخوادم خير وأخفُّ بلاءً من انشغالهن في المعامل ؛ حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلىٰ الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء ! الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ، ويُعامَلان كما يُعامَل أولاد البيت ، ولا تُمَسُّ الأعراض بسوء ! نعم إنه لَعارٌ علىٰ بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلًا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ! فما بالنا لا نسعىٰ وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها »[١] .

٥- قالت السيدة : « توموكا ايكاوا » زوجة السفير الياباني في باريس ، والتي جاء حديثها مع مجلة « المجلة » بتاريخ٢١/ ١١/ ١٩٨١م :
« المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج ، أما بعد زواجها : فهي إما أن تترك عملها مباشرة ، وإما أن تتابعه حتىٰ يصبح لديها أولاد ؛ حينها تلزم المرأة منزلها ، خاصَّة وأنه يترتَّب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة : تربية الأولاد ، المطبخ ، تنظيف البيت ، وسوىٰ ذلك من الأمور ... ، والجدير بالذكر هنا : أن من أسباب قوة اليابان حاليًّا ، هو عناية الأمِّ بالأولاد »[٢] .

٦- تقول الممثلة الفرنسية « ناتالي باي » : « أنا لا أستسيغ أبدًا تلك الطريقة التي تُطرَح فيها الأشياء ، المرأة لا تستطيع أن تكون رجلًا ، والرجل لا يستطيع أن يكون امرأةً ، هذه هي قناعاتي التي أتمسَّك بها ، وأريد من المرأة أنثىٰ ولا شيء غير أنثىٰ ، يجب ألا ينبت شاربان للمرأة ، لا أمزح ... ! ففي كل يوم ألتقي نساءً أخذن شكل الرجال ... » .

---

(١) (المرأة بين الفقه والقانون) .

(٢) مجلة الأمة (١٧/ ٩٢) .

٧- تقول القاضية السويدية « بريجيدا أولف هامر » : « إن حرية المرأة الغربية حرية وهمية ؛ لأنها لم تمنحِ المرأة في الحقيقة المساواة بالرجل إلا بعد أن جردَتْها من صفاتها الأنثوية وحريتها الأنثوية وحقوقها الأنثوية ؛ لتجعل منها كائنًا أقرب إلى الرجل » .

٨- تقول الممثلة السينمائية الشهيرة « غرير غارسون » : « كنت أحلم بالتمثيل ، وأشعر أن العالم كلَّه سيكون طوعَ يدي ، ولكن يقيني بأن العيش في مزرعة ، مع زوج محبٍّ ومتفهِّم ، جعلني أشعر بأنني حرة وإنسانة » .

٩- تقول « الليدي اسكوت » ، من أعضاء مجلس العموم البريطاني : « لقد دخلَتِ المرأة البرلمان ، ونزلت إلى الحياة العامة ، ولكن صدِّقوني : إنها لم تنجح ، وثبت أن مكانها الذي تصلح له هو البيت »[1] .

١٠- تقول الكاتبة ليلى العثمان : « سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضدَّ ما يسمى « حرية المرأة » تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها ، وعلى حساب كرامتها ، وعلى حساب بيتها وأولادها . سأقول إنني لن أحمِّل نفسي - كما تفعل كثيرات - مشقَّة رفع شعار المساواة بين الرجل والمرأة ، نعم أنا امرأة » .

ثم تقول : « هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت - جنة المرأة التي تحلم بها - على أنه السجن المؤبَّد ، وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مَسَد يُشَدُّ على عنقي ، وأن الزوج ما هو إلا السجَّان القاهر ، الذي يكبِّل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي ؛ وعليه فإنه يجب أن أرفس هذه الجنة ، وأبحث عن آفاق حُرَّة أكثر ؟! لا ! أنا أنثى ، أعتزُّ بأنوثتي ، وأنا امرأة أعتزُّ بما وهبني الله ، وأنا

(١) مكانك تُحمَدي (ص : ٤٧) .

ربَّة بيت ، ولا بأس بعد ذلك أن أكون عاملة أخدم خارج نطاق الأسرة ، ولكن يا ربِّ اشهد ، بيتي أوَّلًا ، ثم بيتي ، ثم بيتي ، ثم العالم الآخر »[١] .

١١- جاء في تقرير للأمم المتحدة ما يؤكِّد القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت : « لو أن نساء العالم تلقَّينَ أجورًا نظير القيام بالأعمال المنزلية ؛ لبلغ ذلك نصف الدخل القومي لكل بلد ، ولو قامت الزوجات بالإضراب عن القيام بالأعمال المنزلية ؛ لعمَّتِ الفوضىٰ العالم . سيسير الأطفال حفاة عراة دون رعاية في الشوارع ، ويرقد الرضع في أسرتهم جياعًا تحت وطأة البرد القارس ، وستتراكم جبال من الملابس القذرة دون غسيل ، ولن يكون هناك طعام للأكل ولا ماء للشرب ، لو حدث هذا الإضراب ؛ فسيقدِّر العالم أجمع القيمة الهائلة لعمل المرأة في البيت » .

ويمضي تقرير الأمم المتحدة الذي صدر في عام ١٩٨٥م فيشير إلىٰ أن : « عمل المرأة المنزلي غير منظور لدىٰ الكثيرين ... ، وأن المرأة لا تتلقَّىٰ أجرًا نظير القيام بهذا العمل . إن هذا العمل حيوي وعلىٰ جانب عظيم من الأهمية . غير أن هذه الساعات الطويلة من عناء المرأة في المنزل لا يدركها الكثيرون ... ؛ لأنه بدون أجر »[٢] .

١٢- نشرت جريدة الأخبار القاهرية مقالًا للأستاذ : علي أمين بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٥٣م ، قال فيه : « كنتُ دائمًا من أنصار اشتراك المرأة في الحياة العامَّة ، وكنت أنادي أن علىٰ الزوجة أن تبحث عن عمل تكتسب منه حتىٰ تضاعف دخل الأسرة ، وترفع مستوىٰ المعيشة في البلاد ، **ولكني قرأت اليوم في « الايفننج ستاندارد » بحثًا للدكتورة « ايدا ايلين »** بيَّنت

(١) ، (٢) (رسالة إلىٰ حواء ٣) .

فيه أن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسرَّ كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها ؛ لتُضاعِف دخل الأسرة ؛ فزاد الدخل وانخفض مستوىٰ الأخلاق ... » .

وتُنادي الخبيرة الأمريكية « ايدا ايلين » بضرورة عودة الأمَّهات فورًا إلىٰ البيت ، حتىٰ تعود للأخلاق حرمتها ، وللأبناء والأولاد الرعاية التي حرمتهم منها رغبةُ الأمِّ في أن ترفع مستواهم الاقتصادي . وقالت : « إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلىٰ الحريم هو الطريق الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه »[1] .

١٣- يقول الأستاذ عامر عبيد عن المرأة الأوربية : « حقًّا أن المرأة الأوربية نسيت نفسها كامرأة ، وأصبحت تتصرَّف كالرجال سواء في الملبس والمسلك أو حتىٰ التكوين الأنثوي ؛ فأخذت تحاول التخلُّص بقدر الإمكان من ظواهر أنوثتها الأساسية ، كل ذلك باسم الحرية والمساواة ، وبالفعل وصلت المرأة إلىٰ الأعمال التي كانت تتمناها ؛ حتىٰ إنها حملت المكنسة ، ولكنها بدلًا من أن تنظف بيتها أصبحت تنظف الشارع ، وأمام وجود المرأة في ميدان العمل في أوروبا ارتفعت نسبة البطالة في جميع البلدان المتقدِّمة ؛ لأنهم عندما يضعون الحسابات ، يضعون المرأة إلىٰ جانب الرجل ، ولو أنهم احتسبوا القوة العاملة الحقيقية ، وهي من الرجال فقط ؛ لما أصبحت بطالة ؛ ولاستطاع الكلُّ أن يؤمِّن قوت يومه بكفاية »[2] .

---

(١) (المرأة بين الفقه والقانون) .

(٢) مكانك تُحَمَدي (ص : ١٤٢) .

١٤- يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « إن يكن لهذا العالم خير أُريد به فسيأتي الأوان المقدور تسمع فيه المطالبات بحقوق المرأة ، مطالبات بحقٍّ جديد تستحقُّه بكل جهد جهيد . ولكنْ في هذه المرَّة حقُّها الخالد الذي لا ينازعها فيه منازع ، حقُّ الأمومة والأنوثة ، لا حقَّ الرجولة المدَّعاة ، ولا حقَّ السباق إلىٰ ميادين الصراع ، وسلام يومئذ في العالم الصغير عالم البيت والأسرة ، وسلام في العالم الكبير » .

١٥- قال العلامة الإنجليزي « سامويل سمايلس » في كتابه : « الأخلاق » : « إن النظام الذي يقضي بأن تشتغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ؛ لأنه هاجم هيكل المنزل ، وقوَّض أركان العائلة ، ومزَّق الروابط الاجتماعية ؛ لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية : كترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات العائلية ؛ ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأضحىٰ الأولاد يشبُّون علىٰ غير التربية الحقيقية لكونهم يُلقَون في زوايا الإهمال ، وأُطفِئت المحبَّة الزوجية ، وخرجَتِ المرأة عن كونها الزوجة الظريفة ، والقرينة المحِبَّة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاقِّ ، وباتَت عرضة للتأثيرات ، التي تمحو غالبًا التواضع الفكري والخلقي ، الذي عليه مدار حفظ الفضيلة »[1] .

١٦- يقول الدكتور سوليفان : « إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أورُبَّا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية ،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٢٧٣) .

ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنبًا إلىٰ جنب »[١] .

١٧- تقول « **مامي دود أيزنهاور** » **قرينة الرئيس أيزنهاور** : « إن وظيفة : « زوجة » ؛ هي أجمل ما تمنحه الحياة للمرأة من وظائف » .

١٨- « يجب أن تكون الحياة النسوية منزلية علىٰ قدر الإمكان ، ويجب تخليصها من كلِّ عمل خارجي ؛ لتتمكَّن من تحقيق وظيفتها الحيوية كما يرام » . **(أوغست كونت)**

١٩- يقول « **روزفلت** » **أحد رؤساء أمريكا السابقين** : « إن واجب المرأة المتزوِّجة أن تنهض بأعباء البيت ، وتُنظِّم شؤون الأسرة ، وعلىٰ الفتاة أن تتزوَّج ، وتعيش من كدح زوجها ؛ ليتسنَّىٰ لنا أن نربح من جهود المرأة في دائرة البيت أضعاف ما نربحه من جهودها في الأعمال الأخرىٰ »[٢] .

٢٠- يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « نعم لا جدال في الوظيفة المثلىٰ التي تستقِلُّ بها المرأة ، وهي حماية البيت في ظل السكينة الزوجية من جهاد الحياة ، وحضانة الجيل المقبل لإعداده بالتربية الصالحة لذلك الجهاد » .

٢١- يقول الأمير « **تشارلز** » **ولي عهد بريطانيا** : « إن هؤلاء النساء اللائي يطالبن بالمساواة مع الرجل ، أعتقد أنهن يُردْنَ أن يُصبحْنَ رجالًا ، ناسيات أن تنشئة النسل أعظم مهمَّة يقُمْنَ بها »[٣] .

---

(١) مكانك تُحَمَدي (ص : ١٣١) .

(٢) مكانك تُحَمَدي (ص : ٤٨) .

(٣) مكانك تُحَمَدي (ص : ١٤٢) .

٢٢- يقول الممثِّل والمغنِّي الإنجليزي« جيم دافيدسون » : « إنني لا أحب الأفكار الحديثة التي تعتنقها المرأة بخصوص العمل والحرية ، المرأة مكانها المنزل ، ويجب أن يدور اهتمامها ويتركَّز حول أطفالها وزوجها . أحبُّ أطفالي ، وأحبُّ أن أنجب أطفالًا آخرين » .

٢٣- وهذه صرخاتهم ومناشداتهم بعد تجربتهم : « إنه لا مساواة بين الرجل والمرأة كما أثبتَت تجارب العلوم الطبيعية ؛ ولم تُكلِّفْهما الفطرة بأعباء سواء »[١] **(أنطون ينميلاف)** .

٢٤- وهاهي قناعتهم ترسو على وجه الحقيقة الغائبة عنهم ، بعد أن طاشَت بهم سُفُن التحرُّر في بحار الظلمات ، وأمواج مهلكات : « أيتها النساء قد حان وقت الشجاعة الحقيقية لإعلان رفض دعوة الحرية المتحلِّلة » **(آناريبورن - سويسرا)** .

٢٥- « إن المرأة والرجل متكاملان لا متضادَّان ولا متنافسان ، وإن فكرة التنافس والتضادِّ هذه لم تُوجَد قطُّ في العالم الإسلامي ولا في التاريخ الإسلامي ولا في الفكر الإسلامي ... ، إنما هي وليدة التقليد للحضارة الغربية والتأثُّر بالفكر الغربي »[٢] **(د . يوسف القرضاوي)** .

وممَّا مضى تتجلَّى الأمور ، وتتضح المعالم ، ولا يبقى لذي عقل استبصر الضياء ، وعرف ما هم فيه من الشقاء ، إلَّا أن يشهد بأن حماية الرجل للمرأة تُعتبَر أساسًا جوهريًّا لاستقرار الأسرة وتمتُّع الزوجة بالسعادة الحقَّة ، عن طريق احترام زوجها ، ومعاملته بالاحترام والإكرام ، واعتباره قدوتها المثلى في أية صفة من الصفات الحميدة ، كالشجاعة أو القوى البدنية والذهنية ،

---

(١) ، (٢) (مكانك تُحمَدي) .

أو التضحية والإيثار ، وإلا فقد يسقط تحت سيطرتها ، أو يفصل بينهما حاجز من البرود والنفور ، وعدم المبالاة .

والحقُّ ما شهِدت به الأعداء ! فتَشَوُّفُ المرأة للسيادة أمر يحول دون السعادة في الأسرة ، لما في ذلك من المخالفة للحال الطبيعية الفطرية ، التي تقتضي أن يسود الرجل بعقله وذكائه وإرادته ، لتسود هي بقلبها وعاطفتها علىٰ مقتضىٰ فطرتها[1] .

* * *

(١) يُنظر : مجلة التضامن الإسلامي ، مجلة الحجِّ سابقًا ، السنة (٤٣) ، جمادىٰ الثانية ، (١٤٠٩هـ) ، الجزء (١٢) ، مقال بعنوان : « مع الأسرة المسلمة » – القِوامة – ، بقلم الأستاذة / عائدة الجرَّاح ، (٧٨ – ٨٣) .

قناعات الأمم والحضارات
ضدّ تحرير المرأة المزعوم ومساواتها بالرجل[1]

أطبقت الحضارات وجميع الشعوب على أكذوبة دعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وذلك عبر العصور ومرّ الأزمان ، حتى غدَت عند تلك الشعوب أمثالًا تُضرَب ومقالات تُروى بشأن الحقيقة الماثلة والواقع المجرَّب ؛ ولذا فنسوق هذه الأمثال من شتَّى المجتمعات ، وتعدُّد الحضارات ، فمن الحضارة الرومانية والأورُبِّية ، إلى الحضارة الهندية والصينية ، إلى غيرها من الحضارات وقناعات الشعوب ، إذ تبدو واضحةً معالمها من خلال هذه الأمثال . ومعروف أن الأمثال تُعَدُّ خلاصة تجارب الحكماء ، وتنبيه الفطناء ، وإليك سَرْد هذه الأمثال :

- النساء اللواتي يبحثْنَ عن الحرية يفقدْنَها في الغالب ! (مثل ياباني)
- إن أجمل الطيور ما هو في القفص ! (مثل صيني)
- من أحبَّ زوجته حقًّا ؛ تركها في البيت . (مثل ألماني)
- العُشُّ يتوقَّف على العصفور ، والمنزل يتوقَّف على المرأة .

(مثل فرنسي)

---

(١) يُنظر : مرآة المرأة ، مبثوثة في صفحات الكتاب .

- لا يُؤسَّس البيت على الأرض ، بل على المرأة . (مثل ألباني)
- بيت بلا امرأة ، بئرٌ بلا دلو . (مثل بلغاري)
- المرأة التي صولجانها مغرفة كبيرة من الخشب هي ملِكة قوية . (مثل هندي)
- البيت بنك السعادة . (مثل إنجليزي)
- الله خلق المرأة ، والمرأة خلقت البيت . (مثل كردي)
- لا بيت حيث لا مرأة . (مثل بلغاري)
- خيمةٌ بلا زوجة : ربابةٌ بلا وتر . (مثل روماني)
- المنزل ليس حجرًا ، إنه امرأة . (مثل هندي)
- بالقدم على المهد وبالمغزل في اليد تجعل المرأة البيت جميلًا . (مثل أسباني)

* * *

حقيقة وظيفة المرأة
عند الغربيّين والشرقيّين[1]

وهذه مقتطفات سريعة لمن عاش بريق الحضارة وأدرك زيفها وخسرانها ، سجَّلوا مقولاتهم في تأريخ حضارة الشرق والغرب ممَّن لا يدينون بالإسلام ، لكنهم أعلنوها صريحةً في وجه الأدعياء ، وأن هؤلاء الأدعياء خصماءُ المرأة المتربِّصون بها ، وأعداؤها الحقيقيُّون الألدَّاء .

وهذه أقوال عن بعض مَن عقل حقيقة وظيفة المرأة :

- المرأة والموقد ، لا ينبغي أن يتحرَّك من المنزل . **(لشتنبرج)**
- المرأة مثل الزهرة ، إذا اقتُلِعَت من مكانها تتوقَّف عن الحياة . **(شكسبير)**
- على المرأة أن تقيم في البيت ؛ لأنها إناء لطيف سريع الانكسار . **(تولستوي)**
- أحسن مدرسة هي غرفة المعيشة في البيت . **(أرنولد جلاسون)**
- الأمومة هي حجر الزاوية في صرح السعادة الزوجية . **(توماس جيفرسون)**

---

(١) يُنظر : مرآة المرأة ، مبثوثة في صفحات الكتاب .

• ليتنا كالمسلمات محجَّبات مصونات في البيوت ، ننعم بأزواجنا وأولادنا كما ينعمْنَ . **(آني رورد – كاتبة إنكليزية)**

• العمل والصناعة هما جمال الرجل ؛ كما الحبُّ والأمومة جمال حياة المرأة . **(هنري بوردو)**

• إن أيَّ عمل يقوم به الرجل مهما كان شاقًّا أو عظيم المسؤولية لا يمكن أن يصل إلى مرتبة امرأة تُنشئ أسرة من أولاد صغار .

(تيودور روزفلت)

• إن المرأة إما خلاص أو هلاك للعائلة ؛ لأنها تحمل في ثنايا ثوبها مصير كلِّ فرد من أفرادها . **(أميل زولا)**

• من القواعد المقرَّرة أن عظماء الرجال يرثون عناصر عظمتهم من أمَّهاتهم . **(ميشيلية)**

• نصيحتي إليك إذا كنتِ امرأة صاحبة مهنة ، ألا تنسي أبدًا أنك امرأة ، وأنك أنثى ، مهما كان وزن العقل الذي يملأ رأسك . **(مدام برونييه)**

* * *

حقوق المرأة
عند منصفي الغرب والشرق[1]

ومهما تمتدُّ موجات التغريب ، وتصبح أمرًا مألوفًا ، أو جزءًا حياتيًّا معهودًا ، إلَّا أنها تبقىٰ بقيَّة من عقول أدركت الحقيقة ، وعرفت كرامة الإنسان الحقَّة ، ولكنَّ أصواتها لا تلقىٰ رواجًا كبيرًا بسبب الموج الهادر والتيَّار الجارف ، ولكنْ تظلُّ الحقيقة شاهدة موثَّقة تنطق بالعدل ، وتعترف بالحق الغائب المهمَّش ، في ظلِّ حضارة شوهاء ، تروِّج للزيف علىٰ أنه الحقيقة المؤمَّلة .

وهذه أقوال لبعض الغربيين والشرقيين ممَّن عقلوا حقوق المرأة في الإسلام :

● إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية بوقايتها من كل ما يؤذيها ويشين سمعتها . **(هملتن – من علماء الإنجليز)**

● لقد وجدتُ في الإسلام الطمأنينة التي أبحث عنها ، إن الإسلام قد منح المرأة مركزًا مرموقًا ، بينما هي في الأديان الأخرىٰ أَمَةً لا حقَّ لها[2] . **(استان رايتنس)**

---

(١) يُنظر : مرآة المرأة ، مبثوثة في صفحات الكتاب .

(٢) (مكانك تُحمْدي/ ٢٢٧) .

● إن المرأة في ظلِّ الإسلام أكثر حرية منها في ظلِّ المذاهب الأخرىٰ ، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من المسيحية ، فبينما لم تنلِ المرأة في إنجلترا حقَّ الملكية إلا منذ عشرين سنة ، فإن الإسلام قد أعطاها حقَّ التملُّك منذ اللحظة الأولىٰ(١) . **(آني بيزانت)**

● إن المرأة في الشرع تُعامَل بنبل وكرم ؛ فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق ، ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلىٰ أشدِّ نساء الشعب بذاءة لسان حتىٰ أثناء الشغب ، وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين رعايته ، وقد بلغ الاهتمام بالأُمِّ درجة العبادة . وفي الشرق لا تجد رجلًا يُقدِم علىٰ الاستفادة من كسب زوجته ، والزوج هو الذي يدفع المهر ، وإذا طُلِّقَتِ الزوجة في الشرق أو هُجِرَتْ أعطاها الرجل نفقةً ؛ لتعيش عن سَعَة ، وأن هذه النفقة تجعل الزوج يخشىٰ إساءة معاملة زوجته حذر مطالبتها بالفراق (٢). **(المستشرق : أميسيس)**

● **هذا ما قالته الممثلة الإيطالية : مارشيلا مايكل آنجلو وقد أعلنت إسلامها ، وصار اسمها : فاطمة محمد عبدالله ، قالت تشرح سبب إسلامها :** « أسلمت من أجل البساطة ، السماحة ، مشهد الناس الطيبين يدخلون في بساطة إلىٰ صحن المسجد المتواضع ، يصلون في خشوع .

لقد فعل ذلك في نفسي فعل السحر ، حرَّك كوامن مترسبة في أعماقي ، أحسستُ أني مسلمة قبل أن أُعلن إسلامي . لقد وجدتُ في دينكم العقل والمنطق . أنتم ببساطة وكما فهمتُ تؤمنون بالله ورسوله . هذا الرسول بشر

---

(١) (مكانك تُحْمَدي/ ٢٢٧) .

(٢) (رسالة إلىٰ حواء/ ١) .

مثلنا ، اختاره الله ؛ لينقل رسالة إلىٰ الناس ؛ ليؤمنوا به وبكتاب ربِّه القرآن . والقرآن ينظِّم حياة الناس ؛ ليعيشوا متعاونين في خير وسعادة ؛ ليعيشوا ببساطة وبلا مظاهر كاذبة .

إنني أحسُّ كما لو أنني قد وُلِدتُ من جديد . إنني أنا المسلمة ، قد خرجتُ من أعماقي ؛ لأعيش تاركة غلافي القديم . اسألوا الذين عرفوني من قبل ، كم أدهشَتِ السعادة التي أرفُل فيها ؟! آمنت بالله ، لا إله إلا الله »[١] .

• من أراد أن يتحقَّق من عناية محمد ﷺ بالمرأة ؛ فليقرأ خطبته في مكَّة التي أوصىٰ فيها بالنساء . **(المستشرق أندريه سرفيه – في كتابه : الإسلام ونفسية المسلمين)**

• إن الإسلام أكثر الأديان طواعية وعملية وقربًا إلىٰ العقل ، وهو الدين الوحيد الذي يبلغ بالإنسانية كلَّ ما تنشده من طمأنينة وسلام[٢] . **(إيفلين كوبلد ، بعد إسلامها)**

• اقتنعت بأن الإسلام هو الدِّين الوحيد الذي يستطيع انقاذي من التِّيه والضياع ؛ فرضيت به دينًا . **(أم أنفال ، أستاذة نمساوية)**

• المرأة في الإسلام علىٰ المكانة التي وضعها دينها فيها . **(البروفيسور فون هامر)**

* * *

---

(١) (رسالة إلىٰ حواء) .

(٢) (مكانك تُحمْدي/ ٢٢٧) .

أثر القِوامة في تربية الأولاد

إن مسألة التربية تحتاج إلىٰ تخصيص أحد الأبوين في توفير الوسائل والحاجات الأساسية للحياة والتربية ، وإلىٰ تخصُّص الآخر في حضانة واستغلال وتوجيه قدرات الأطفال ، ليس ذلك من أجل الإتقان الوظيفي لدوري الأبوين فحسب ؛ بل لأن حسن توزيع الأدوار والمسؤوليات والتخصُّص فيها بالعلم والسلوك ، مع سلامة العلاقة الزوجية من الصراع والتنافر - يحدِّد لدىٰ الطفل منهجه في الحياة ، ويكون لديه روح الإخلاص للحياة الأسرية ، والصلات الاجتماعية ، ويخدم القسمة الطبيعية ، التي تعيِّن الرجولة ، وتمنح الطفل الذكر خصائصه ؛ وتعيِّن الأنوثة ، وتمنح الطفل الأنثىٰ خصائصها من خلال الاقتداء والتأسِّي بالأبوين وتذوُّق طعم الأسرة السليمة .

وهذا النجاح يعدُّه الإسلام من أعظم الأعمال التي يقدِّمها الأبوان للحياة ، بل من الأعمال الخالدة التي لا ينقطع ثوابها حتىٰ لو مات أصحابها [(١)] .

والإنسان هو أطول الأحياء طفولة ، إذ تمتدُّ طفولته أكثر من أيِّ طفل آخر للأحياء الأخرىٰ ، وذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيُّؤ وتدريب للدور المطلوب من كلِّ حي بقية حياته .

---

(١) يُنظر : الأسرة المثلىٰ في ضوء القرآن والسنة ، (ص : ١١٥) ، للدكتور : عمارة نجيب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط.١ (١٤٠٠هـ) .

ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ، ودوره في الأرض هو أضخم دور ؛ امتدَّت طفولته فترةً أطول ؛ لِيَحْسُن إعداده وتدريبه للمستقبل ، ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشدَّ من حاجة أي طفل لحيوان آخر ، وكانت الأسرة المستقرَّة الهادئة ألزم للنظام الإنساني ، وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة(١) .

لذا كانت لمرحلة الحضانة – في السنين الأولىٰ للطفولة – أثرها الخطير المرتبط بمقدار فَهم كلٍّ من الزوجين لدوره ، وإخلاصه له ، ونجاحه فيه .

والحضانة هي العناية والرعاية في الصغر وفي سنوات الطفولة الأولىٰ ، وتوفير الاحتياجات العضوية والمادية والنفسية اللازمة لحياة الطفل وحمايته ، ولفظ الحضانة مأخوذ من الحضن ، وهو الجوف ، ويشير إلىٰ الحماية والحنان والعطف والرعاية في أقصىٰ صورها وأعلاها .

وفترة الحضانة من الفترات المهمة في حياة الإنسان ؛ إذ يكمن فيها غرس القيم والمبادئ الرفيعة ، التي تسهم كثيرًا في إبعاده عن السلوكيات السيِّئة ، والتيَّارات المنحرفة ، وإرشاده إلىٰ الطريق السوي ، الذي فيه صلاحه وصلاح أسرته ومجتمعه .

وحتىٰ يصبح الطفل عضوًا مستقلًّا في مجتمع متحضِّر كالمجتمع الإسلامي ، فلا بد من مروره بعدد من المراحل الحيوية في طفولته ، لا تقِلُّ عن خمسةَ عشرَ عامًا ، لا يقلُّ خطر مرحلة منها عن الأخرىٰ من حيث تأثيرها في نجاح الطفل أو فشله ، ممَّا يؤكِّد ضرورة تزوُّد الوالدين بالعلوم والمعارف التي تصحِّح سلوكهما ، وتجعله مَعْبرًا أمينًا لمرور الطفل

---

(١) يُنظر : في ظلال القرآن ، (١/ ٢٣٥) .

إلىٰ استقلاله ، ولا شك أن نجاح الوليد والمربي معًا يرتبط بالقدرة علىٰ التوفيق بين القيم السلوكية وبين أسباب ترقِّي الحياة الإنسانية بتضمين وسائل التربية ، ومنها : القدوة ، وخبرات وتجارب الأبوين ، مع ما يجده من ثمرات الفكر الإنساني .

إن ممَّا يزعزع استقرار الأسرة أن ينشأ الأطفال في مؤسَّسة عائلية القِوامة فيها ليست للأب ؛ إما لأنه ضعيف الشخصية ، حيث تبرز عليه شخصية الأم وتسيطر ؛ وإما لأنه مفقود : لوفاته ، أو لعدم وجود أب شرعي ! قلَّما ينشؤون أسوياء ، وقلَّ ألَّا ينحرفوا إلىٰ شذوذ ما في تكوينهم العصبي والنفسي ، وفي سلوكهم العملي والخُلقي .

وقد أثبتَتِ التجارب العلمية أن الولد الذي يعيش بين أبويه يكون أقوىٰ جسمًا وعاطفةً من الأطفال الذين ينشؤون في الملاجئ ودور الحضانة ، وهذا ما أنتجته التجارب العلمية بعد الحروب .

كتبَت إحدىٰ الأوربِّيات رسالة في نتيجة هذه الدراسة ، قرَّرَت فيها أن طفل الملجأ ينمو نموًّا حسنًا في سنته الأولىٰ ؛ بسبب الرعاية الصحية والغذائية المتوافرة في الملاجئ ولا تتوافر في بعض الأسر ، فإذا تجاوز الطفل عامه الأوَّل كانت النتيجة لصالح أطفال الأسر ، حيث تنمو حاسة النطق بسرعة علىٰ أساس الصلة المباشرة بين الطفل ووالديه ، فالطفل يدرك بغريزته كلَّ انفعال يثيرانه ، فهو يرقبهما ويقلِّد التعبيرات المختلفة التي تظهر علىٰ وجهَيهما ، وهذا الانفعال العاطفي والتقليد فيه من القوة ما يدفع إلىٰ الكلام ، وفي خلال السنوات الخمس الأولىٰ من حياة الطفل تعمل قواه الغريزية في نشاط واضح ، ومن خلال علاقاته بوالديه يستخدم هذه

القوة ، ثم يتغلب عليها بإدماج نفسه في رغبات والديه ؛ فتُهذَّب غرائزه ، ويتكوَّن ضميره اللوَّام ، ويبدأ حياة أساسها تهذيب الغرائز .

فالطفل الذي يتربَّى بين أبويه يكون تحت تأثير عاملين قويين :

أحدهما : غرائزه التي لو انطلقت لكان وحشًا لا يألف ولا يُؤلَف .

والثاني : ما ينبعث من الوالدين من رحمة وعطف ، وما يبادلهما به الطفل من محبَّة ، لا توجد تلك العواطف في غير الأسرة التي تُوجِد اندماج نفس الطفل في نفس غيره لِتُهذَّب غرائزه ، وإذا كانَتِ الغرائز تُهذَّب بغير طريق الأسرة فبنوع من السيطرة لا الاندماج ، فيحسُّ بالألم وبالضغط ؛ فيكون النفور ، ومن النفور تتولَّد الكراهية للمجتمع ؛ فلا يكون منه الألفة ولا الائتلاف ، ويكون من الشُّذَّاذ ، الذين ينظرون إلى المجتمع نظرة من يريد الافتراس[1] .

* * *

(١) يُنظر : الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة ، (١١٤-١١٥) ، مجلة جامعة الإمام ، العدد (٢٥) ، سنة (١٤٢٠هـ) ، (ص : ٥٧٧) ، في ظلال القرآن ، (٢/ ٦٥١-٦٥٢) .

حماية الأسرة من الانحراف[1]

للأسرة الدور الأهم والأساس في القيادة والوقاية من الانحراف بصوره المختلفة ، وأوَّل وأهمُّ عامل يفكر فيه الباحثون للحدِّ من الانحراف هو العامل الأسري ؛ فالأسرة تشكِّل خطَّ الدفاع الأوَّل في المجتمع ضدَّ الانحراف .

ففي الأسرة يفتح الطفل عينيه على الحياة ، ومن خلال الأسرة يرى متغيِّراتها المختلفة ، ويدركها ويفسِّرها ويتعامل معها ، فالأسرة كما يُقال : مصنع الشخصية ؛ لأنها تُشكِّل المحور الذي تدور معظم عناصر تكوين الشخصية حوله .

فهي التي تُنمِّي معارفه ومداركه ، وتوجِّه مواهبه وانتماءاته وميوله ، وتحقِّق رغباته ، وتغرس قِيمَه وعاداته واتجاهاته ، وترغِّبه وترهِّبه في الاتجاهات والسُّلوك حسب رؤيتها .

وقد تناول الباحثون الأسرة ودورها في الحدِّ من الانحراف في كثير من الدراسات ، بعضها تناول مكانة الطفل بين أفراد أسرته ، وبعضها

---

(١) يُنظر : مجلة جامعة الإمام ، العدد (٢٥) ، سنة (١٤٢٠هـ) ، (٥٦٣ ، وما بعدها) ، بحث بعنوان : « بنية الأسرة المسلمة وأثرها في استقرار المجتمع » ، للدكتور : عبدالرزاق بن حمود الزهراني .

بحث عن أثر الأسر المتصدِّعة في الانحراف ، والأسر المتصدِّعة هي الأسر التي تكثر فيها الخلافات والمشاجرات والمشاحنات ، وتعاني من غياب أحد الأبوين أو كلاهما بسبب الموت أو الطَّلاق أو الهجر أو غير ذلك .

* * *

أنواع الانحراف الأسري

تعرضَت بعض الدراسات لعلاقة انحراف الأبناء بانحراف الآباء ؛ عن طريق التقليد والاقتداء ، وعند حصر الأسر التي يكثر فيها الانحراف نجدها علىٰ النحو الآتي :

١- الأسر التي يكون لبعض أفرادها أو لغالبيتهم ميول أو نشاط إجرامي أو نشاط غير أخلاقي ، ويتعاطَون المسكرات بكثرة .

٢- الأسر التي يغيب عنها الوالدان أو أحدهما بسبب الوفاة أو الهجر أو الطلاق أو التخلِّي عن المسؤولية .

٣- الأسر التي ينعدم فيها الضبط الاجتماعي ؛ لجهل الوالدين ، أو لكونهما أو أحدهما مُعاقًا ، أو يُعاني من مرض دائم .

٤- الأسر التي يسيطر فيها شخص واحد سيطرة مطلقة ، وفيها تمييز في المعاملة أو إهمال ، أو عدم توافق أو غيرة مفرطة ، أو قسوة زائدة ، أوِ الأسر التي حجمها كبير جدًّا ، أو يتدخَّل الأقارب في أغلب شؤونها .

٥- الأسر التي تعاني من العنصرية ، أو اختلاف المعتقدات والمفاهيم والقيم والمعايير الأخلاقية .

٦- الأسر الفقيرة التي تعاني من ضغوط اقتصادية شديدة ، كالبطالة أو تدنِّي الدخل أو اضطرار الأم للعمل الدائم خارج المنزل .

٧- وهو أهمُّها : الأسر التي يضعف فيها الوازع الديني ، ولا تهتمُّ بربط أبنائها بالخالق سبحانه وتعالىٰ .

ولا شكَّ أن الإسلام أقرَّ بأثر القدوة في انتقال السلوك ، وأقرَّ بضرورة المراوحة بين الترغيب والترهيب في تنشئة الأبناء .

وللحفاظ علىٰ تربية الأبناء تربية قويمة مستقيمة ؛ فلا بُدَّ للأسرة من اتخاذ الأبعاد التربوية ؛ لتحافظ علىٰ استقرار كِيان الأسرة من المؤثِّرات .

* * *

الأبعاد التَّربوية لاستقرار الأسرة

هناك ثلاثة أبعاد تربوية ينبغي للأسرة سلوكها ؛ كيما يسودها الاستقرار ، وتكون في منأىٰ عن الانحراف والشتات .

أُولاها : البعد البنائي :

فلا بُدَّ من بناء الشخصية السليمة المحصَّنة من الداخل ضدَّ الفساد والانحراف ، وذلك عن طريق تقوية الوازع الديني ، وإيجاد الضمير الحي ، والعقل الواعي ، والمدارك المتفتِّحة المدركة لأخطاء الانحراف وأضراره .

وهنا يكون دور الأسرة بارزًا في تنشئة أبنائها تنشئة سليمة وفق تعاليم الإسلام ومبادئه ؛ ليواجهوا الحياة ومشكلاتها بإيمان راسخ ، وعقيدة قوية ، قائمة علىٰ القناعة والرضا واليقين ، معتمدين علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، مراقبين له في السرِّ والعَلَن .

ثانيها : البُعْد الوِقائي :

ولا بُدَّ في تربية الأولاد من وقايتهم بإبعادهم عن كلِّ مصدر انحراف ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم : ٦] ، فيُعمَل كلُّ ما يمكن عمله لإبعاد الأولاد عن أصدقاء السوء .

إذا لم تَدْرِ ما الإنسانُ فانظرْ   من الخِدن المفاوض والمشيرُ

وهذا البعد يقتضي المراقبة والمتابعة لسلوكهم وتصرفاتهم ، خاصَّة في مرحلة البلوغ وما قبلها من مراحل ، وكذلك استخدام أسلوب الترغيب ومبدأ الثواب والعِقاب عن الإحسان أو الإساءة ، وعند الصواب أو الخطأ ؛ حتىٰ يشعروا بمراقبة الآباء لهم ، وأنهم قائمون بواجب الرعاية ، فيبتعدون عن كل ما يسوء ويشين ، ويُقبِلون علىٰ كل ما هو مرغوب ومستحسَن دينًا وأدبًا ؛ وهم في مراحلهم الأولىٰ يُشبِهون الغرسة في مراحلها الأولىٰ ، حيث تحتاج إلىٰ رعاية وعناية وحماية ؛ لسهولة التأثير فيها ، ولسهولة ليِّ أغصانها أو كسرها ، أكثر من حاجتها إلىٰ ذلك حال اكتمالها ونضوجها .

وقد أشار إلىٰ خطورة هذا المعنىٰ الشاعر ؛ وهو يصف هذه الحقيقة في مشهد حواري بين بُنيَّة صغيرة مع أبيها حيث يقول :

بين الحديقة والنَهر	وجمال ألوانِ الزهَرْ
والطّير يشدو بالغنا	ءِ العَذْب في شتَّى الصُّوَرْ
سارت مها مسرورةً	مع والد حانٍ أبَرّ
فرأت هُنالك نخلةً	مُعوَجّةً بين الشَّجَرْ
فتَنَاوَلَتْ حبْلاً وقا	لَتْ : يا أبي هيَّا انتظِرْ !
حَتَّى نُقَوّم عُودَها	لِتَكُون أَجْمَل في النظَرْ
فأَجاب وَالِدُهَا : لَقَدْ	كَبُرَتْ وَطَال بِهَا العُمُرْ
وَمِن العَسِيْر صَلاحُهَا	فَات الأَوَان وَلا مَفَرّ
قَدْ يَنْفَع الإصْلاح وَالتَّهْـ	ـذِيْب في عَهْد الصِّغَرْ

وخلاصة هذا الحوار ؛ تتجسَّد في صميم البيت التَّالي :

إِنّ الغُصُون إذا قَوّمْتَها اعتَدَلتْ
ولا يلين إذا قَوّمْتَه الخَشَبُ

قد ينْفَع الأَدَبُ الأَحْدَاثَ في مَهَلٍ
وَليْس ينْفَع في ذي الشَّيْبَة الأَدَبُ

ثالثها : البُعد العلاجي :

من الضرورة بمكان معالجة سلوك الأولاد عندما يُخطؤون أو يجنحون ، مع لزوم اتِّباع الأسلوب الأمثل لمعالجة الانحراف ؛ حتىٰ لا تتفاقم المشكلة ويصعب حلُّها ، ومن ذلك الانتقال من الحيِّ إذا كان سبب الانحراف هم أصدقاء السُّوء ؛ للابتعاد عنهم وقطع سُبل الاتصال بهم .

وقد يرىٰ الوالدان أن العلاج الأمثل هو الضرب غير المبرِّح ، أو الحرمان ، أو النصح ، أو غير ذلك من وسائل العقاب والتَّوجيه ، وذلك حسب الظروف الملائمة ، وحسب الحالات والأشخاص .

* * *

قيَم التَّربية الغائبة عن الأسرة[1]

هذه كلمات تُوجَّه لكلِّ أسرة مسلمة ؛ عسىٰ أن تُضيء بها شمعة صغيرة تُنير لهم شيئًا علىٰ الطريق ، وعلىٰ الله قصد السبيل .

إن الأبناء هبةٌ من الله ، وهم أكباد الآباء تمشي علىٰ الأرض ، ونعمة تستحقُّ الشكر ، ويجب أن تُصان ، وذلك بحسن تربيتهم ، وإعداد المناخ الطيب ؛ لينشؤوا نشأة صالحة ، وليصبحوا لَبِنَات صُلبة في صرح الأمَّة مستقبلًا ، فمَن أدَّب ولده صغيرًا ؛ سُرَّ به كبيرًا .

ولذا رأينا الإسلام يضع الآباء أمام مسؤولياتهم عن أبنائهم مباشرة منذ صغرهم ، بل قبل ذلك حين يفكر في اختيار أمِّهم ، وهي التربة التي ستحتضن النُّطفة حتىٰ تخرج للحياة خَلْقًا آخر ، بعد ذلك تبدأ الأسرة الصغيرة في تحمُّل مسؤولية التَّربية لهذا الوليد حتىٰ يستوي ، وتمدُّه بالقيم النبيلة ، وتغذِّيه بالعقيدة الصحيحة .

قال تعالىٰ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦] ، ومعنىٰ ذلك أن نُحسن تربيتهم ؛ فنعرِّفهم الحلال والحرام ، ونجنِّبهم المعاصي والآثام ، إلىٰ غير ذلك من الأحكام ،

---

(١) يُنظر : مجلة منار الإسلام ، العدد (٤) ، سنة (١٥) ، (١٤١٠هـ) ، (١١٦-١٢٢) ، مقال بعنوان : « الأسرة المسلمة ، والقيم التربوية الغائبة » ، للأستاذ : عاطف شحاته زهران .

ونرىٰ الآية صُدِّرت بنداء للمؤمنين عامَّة ، وكأن إيمانهم يُحتِّم عليهم مراعاة حقوق أبنائهم وعدم إهمالهم ، فالتقصير في شيء من ذلك يُخلُّ بالإيمان .

وفي آيات أُخرىٰ نقرأ ما يشدِّد علىٰ المسلمين كافَّة إذا ضيَّعوا أو قصَّروا فيما كُلِّفوا به ، بالتركيز علىٰ المحاسبة الإلهية لكلِّ مؤمن ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] ، وقال : ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٣] ، وغير ذلك من الآيات التي تُشعِر المسلم دائمًا بعظم المسؤولية وخطرها ؛ حتىٰ لا يغفل أحدهم أو يؤخِّر ما هو بالتقديم أولىٰ ، ولا شكَّ أن الأبناء من جملة الأشياء التي سيُسأل عنها المؤمن ؛ فهو المسؤول عن تربيتهم .

ويحسن بنا أن نورد بعض القِيَم الغائبة عن الأسرة المسلمة :

أولًا – المراقبة أو الحضور الأبوي :

لا بُدَّ أن يشعر الأبناء بحضور الأبوين أو أحدهما دائمًا لمراقبة تصرُّفاتهم ؛ حتىٰ إذا ما ذلَّ أحدهم – أو كاد – وجد من يأخذ بيده ؛ ليوجِّهه لما فيه الخير له ولهما ولسائر الأمَّة ، أو يأخذ علىٰ يديه إذا ما انحرف أو ضلَّ ويتَّبع معه أسلوبًا مناسبًا لكلِّ حال ، فمن الأدب الوعيد والضرب وحبس المنافع ، ومنه الرفق والعطية والنوال والبِرّ ؛ فإن ذلك ربَّما كان أدعىٰ لهم من الوعيد والضرب ، وبين النفوس تفاوت ، فنفسٌ تضرع وتخضع بالبِرِّ والعطيَّة ، ونفسٌ تضرع وتخضع بالغلظة والشدَّة ؛ ولو استعملت معها الرفق والبرَّ لأفسدتها ، ونفسٌ بالعكس من ذلك .

وذلك كلُّه لا يتحقَّق في غياب الآباء ، ذلك الغياب الذي يصل إلىٰ حدٍّ يشعر الأبناء بأنهم كاليتامىٰ أو دونهم بكثير ؛ فاليتيم قد اشتهر أمره ،

وحثَّ الإسلام علىٰ كفالته ؛ فسيجد من الناس من ينزله منزلة الابن ، أما أولئك فالناس عنهم في غفلة متعمَّدة ، وأشدُّهم غفلةً عنهم آباؤهم ، وفيهم يصدق قول الشاعر :

لَيْسَ اليَتِيمُ مَنِ انتهى أبَوَاه من هَمِّ الحيَاة وخَلَّفَاه ذلِيْلاً
إنّ اليَتِيمَ هُو الذي تَلْقَى لَه أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولاً

ونحن نشاهد من ذلك صورًا شتَّىٰ تكشِف عن تقصير بعض الآباء في حقوق أبنائهم ، فهذه أسرة وفَّرت لأبنائها حياةً رغيدةً ؛ فلديهم من الملابس أضعاف ما يحتاجون ، ومن الطعام أكثر ممَّا يشتهون ، ومن حاجات الحياة ما يفوق الوصف والخيال ، فنظر الناس إليهم حَسَدًا ، وتمنَّوا مكانتهم ؛ وقالوا : يا ليت لنا مثل ما أوتوا ؛ لنستريح من كدِّ الحياة ، أو نطمئن علىٰ مستقبل أولادنا . ولكنهم مع كلِّ ذلك افتقروا إلىٰ القلب الذي يحنو ! والعين التي تحرس ! والعقل الذي يُرشد ! وذلك كُلُّه لا يكون إلا بحضور الأبوين ؛ لِيغرِسَا فيهم ما يُحمد من فعال ، وما يجب من أخلاق ، ويحاربا ما فسد من سلوك ، وما اعوجَّ من تفكير ، ويحفظونهم من رفاق السوء ، مستنيرين في ذلك بهدىٰ الإسلام ، لكن ذلك لم يتحقَّق لمَّا فقدوا رعاية الأبوين ؛ لانشغالهما بالأعمال والأسفار عن كلِّ شيء ، وأعْمَتْهم أرصدتهم عن بنيهم ، وهم أغلىٰ وأعزُّ من كلِّ أرصدة الدنيا ، فلم يجدوا مُتَّسعًا للتفكير في الأبناء ومساعدتهم علىٰ مواجهة مشاكلهم الكثيرة ؛ ظنًّا منهم أنهما وفَّرا لهم حياةً يُحسدون عليها ، ويرىٰ الأب أنه من أجلهم يكدُّ ولهم يشقىٰ ؛ لكيلا يتركهم عالةً يتكفَّفون الناس ، فهو يسعىٰ لإنقاذهم من الفقر الذي عانىٰ منه طويلًا ، ويريد أن يُهيِّئ لهم حظًّا أحسن من حظِّه ، ولا يُعرِّضهم للمعاناة التي كم قاسىٰ منها .

أمَّا الأمُّ فقد هيَّأت لهم خادمةً تقوم بأمورهم وترعىٰ شؤونهم ؛ لِتوفر لهم الوقت لاستذكار دروسهم ، والترفيه عن أنفسهم بالطريقة التي تروق لهم ، ثم تمرُّ الأيام ، وتُطوىٰ الأعوام ، وهي بالنسبة للأبوين سريعة ، وهي بحساب الزمن أيام وأعوام ، ويُفاجأ الأبوان بما لم يكن في الحُسبان ، فالأبناء قد انحرف بهم الطريق ، منهم مَن فَشِل في دراسته ! ومنهم من أسلم نفسَه للمخدِّرات !

أمَّا البنت فقد بحثَت عن الحبِّ الذي فقدَته ، والعاطفة التي تريدها خارج البيت ... ، وكان ما كان ! فأفاقوا علىٰ تلك النهاية المأساوية بعد أن اكتشفا تقصيرهم المتعمَّد ! ولم تُفلحِ الأرصدة الكبيرة في إصلاح ما فَسَد ، بل ربَّما كانت عِلَّة العِلل وأوَّل أسباب الفساد :

وتَبْكي على لُبْنَى وأَنت قَتَلْتَها
فَقَد ذَهبَت لُبْنَى فما أَنت فَاعِل !

إن الثمن الذي دفعاه باهظ لا يساويه شيء في الدنيا ! فالإسلام لمَّا أوجب النفَقَة عليهم وضع لذلك ضوابط ، ومن أجمل الأمثال الدارجة : **أشبع ولدك وأحسن أدبه !** ومع ذلك فلا بُدَّ من عين الأب المفتوحة وعقله .

وقديمًا قيل : **علِّق سوطك حيث يراه أهلك** ، ولكنهم قد يُعلِّقون السَّوْط ، وينشغلون عنه حتىٰ يتآكل ! ويرىٰ الأبناء السَّوْط في مكانه فيعبثون به ، ويسخرون من تراكم التراب عليه دون أن يرَوا صاحب السَّوْط يُعاقِب مخطئًا ، وأغراهم كلُّ ذلك بالانضمام إلىٰ صحبة السوء ، وساعدهم المال الوفير علىٰ التبذير هنا وهناك ؛ فهم لا يخشون له نفادًا ؛ فلديهم أرصدةٌ لا تنضب ... !

وقد أوصىٰ رسول الله ﷺ الآباء بقوله : « **وأنفِق علىٰ أهلك من طَوْلِك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا ، وأخِفْهم في الله** »[١] .

فالأهل وجدوا المال بغير حساب ، وفقدوا العصا والخوف من الله لغياب الآباء وانغماسهم في أعمالهم ، ولطالما حاول الواعظون والمربُّون نصح الآباء والتنبيه فكان سرعان ما يُجيب بعضهم : وماذا يريدون ؟! لقد وفَّرتُ لهم أكثر ممَّا يطلبون ، وما حرمتُهم من شيء قطُّ . فأين التقصير الذي تدَّعونه ؟!

وعبثًا نحاول إفهامه أن الأبناء في حاجة إلىٰ القلوب التي تُحبُّ ، والعقول التي تُوجِّه ، والعيون التي تُراقب ، قبل حاجتهم إلىٰ غذاء وفير ، ولباس ناعم ، وأدوات إلكترونية ترفيهية ، ومساكن فاخرة تتلألأ ليل نهار ، وسيَّارات فارهة ، ورصيد في البنوك يُغطِّي احتياجاتهم في المستقبل القريب ، وربَّما البعيد !

وليس النبْت ينْبُت في جِنانٍ   كمِثْل النبْت ينْبُت في الفَلاةِ
وهَلْ يُرْجى لأطفَال كَمَالٌ   إذا رضعوا ثُدِي الناقصاتِ

ومع ذلك لا تلقىٰ منهم العناية ، ولا الوقوف علىٰ إصلاح الخلل بجدارة .

ثانيًا – القِوامة :

والحديث عن القِوامة هو لبُّ كتابنا ، وسبق أن خصَّ الله الرجل بالقِوامة علىٰ الأسرة ، إذ يقول : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٨) .

ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [النساء : ٣٤] ، وقد نرىٰ بعض الآباء يتنازلون عن هذه القِيمة ، ويُسلمون دفَّة الأمور للأمهات ، وغالبًا ما تكون النتيجة أليمةً حين يتربَّىٰ الأبناء علىٰ عيون أمَّهاتهم ، خصوصًا حين يُرزقون بأمَّهات ذوات طبائعَ غيرِ سوية .

وإليكم صورة واحدة - من صوَر شتَّىٰ بألوان وأحوال وظروف مختلفة - تُبْرِز أثر غياب القِوامة علىٰ أفراد الأسرة ، وهي صورة لفتًىٰ تجاوز الثانيةَ عشرةَ من عمره بقليل ، ماتت أمُّه منذ سنين ، وتزوَّج والده بأخرىٰ ، ومرَّت الأيام ، ولاقىٰ الصبي من قسوة المرأة ما لاقىٰ ، كان يخرج صباحًا ؛ ليعمل عملًا يُدرُّ علىٰ الأسرة شيئًا من المال ، فإذا قعد يومًا ليريح جسمه أو لمرض ألمَّ به أو لعدم وجود عمل يُناسبه ؛ أسمعَته المرأة ما يكره وعيَّرته بأنه عاطلٌ ، يعيش عالةً عليهم ، ويقاسم إخوته الصِّغار - أبناءها - قُوتَهم متناسية أن له من الحقِّ ما لهم ! وبمرور السنين زادت هذه المضايقات ؛ حتىٰ أفهمته مرَّةً أن البيت بيتها هي وأبناؤها ، وعليه أن يبحث عن مكان يأويه بعيدًا عنهم لدىٰ جدِّه أو أعمامه ، وطالما شكا إلىٰ والده أمره أَمَلًا في حلٍّ لمشكلته ، ولكنَّ جوابه كان صمتًا أو ترضية له ، دون أن يسأل زوجته عمَّا تفعل ؛ فقد ترك لها العنان طويلًا حتىٰ استعصَت عليه ، وضاقَتِ الدَّار علىٰ الصبي ، أو ضاق هو بها ، فكان يذهب للعمل بحثًا عن راحة البال والتغلُّب علىٰ ما بداخله من مشاعر القلق والضيق ، التي تنتظره بالبيت وتعشِّش بداخله ، فإذا ما جنَّ ليلٌ أوىٰ إلىٰ زاوية صغيرة أو منزل خَرِب فيقضي ليلته ، وتتابعَتِ الليالي دون أن يسأل عنه والده حتىٰ شاع بين الناس أمره ، وحاول بعضهم الاتصال بالأب لوضع حدٍّ لتلك المشكلة ، ولكنهم فشِلوا ، وكان قلبه قد قُدَّ من صَخْر فلم يَلِنْ ، أو كأنَّ الأمر لا يعنيه في

شيء ما دام ذلك يُرضي زوجتَه ، وما هي إلا أيامٌ حتىٰ سمعنا أن الفتىٰ قد هَجَر البلدة كلَّها إلىٰ مكان آخر بعيدًا عن أبيه ؛ علَّ ضميره الغائب يعود أو يتحرَّك ! فلِلَّه أمرك أيُّها الفتىٰ ، فاصبر واعمل ؛ لتكسب من كدِّك ، واستعن بالله ولن يُخيِّبَك .

وحينها نتساءل : أي آباء هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ؛ وأنساهم كلَّ شيء !

إن الرجل قوَّامٌ - صيغة مبالغة - علىٰ المرأة ، أي : يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من البروز ، وأن عليها طاعته وقَبول أمره ما لم تكن معصية ، بذا قضىٰ الله لا بغيره ، فإذا قُلِبت الموازين فلا يلومنَّ الرجل إلَّا نفسه .

ثالثًا - القُدوة الحسنة :

ثالث هذه القيم التي توارَت في بعض الأسر هي القدوة الحسنة ، وكلُّنا يعرف أهميَّتها في التَّربية ، ولكن البعض عن عَمْد أو غفلة يتساهلون في ذلك ، فينشأ أبناؤهم علىٰ ما اعتادوا عليه في آبائهم ، ومن شابه أباه فما ظلم !

فذاك أب أدمن التدخين ، ثم يعمد إلىٰ أن يشترك ابنه معه من باب التسلية ، فيعطيه ما تبقَّىٰ من سيجارته ليرميه ! فإذا به يُمسك بها أمامه ويضعها بين شفتيه ، والجميع حوله يضحكون من خِفَّة الصغير وشقاوته ! وبعد حين يتعلَّم التدخين ؛ ويحاول الجميع إفهامه مدىٰ خطورته ، فلا يُفلحون ! وحين يكبر وتجتمع عليه العِلل ، يتمثَّل قول الشاعر :

هذا جَناه أبي عَليَّ ومَا جَنَيْت على أَحَد

وذاك أبٌ وجد المال معه وفيرًا ، وأعماله كثيرةٌ ، وصِلاته واسعة ، فإذا به يلتفُّ بصحبة السُّوء أو تلتفُّ به ، ويتعاطَون جميعًا المخدِّرات ؛ حتىٰ ينسوا همومهم ، ويتغلَّبوا علىٰ مشاكل الحياة ، ويتقدَّم الأمر بهم فيتسلَّط عليهم الدَّاء الخطير ، فيصبح الأب من جملة المدمنين ؛ ويبعثر ماله غير مبالٍ بعياله أو بنفسه ، ولا يهمُّه إلَّا أن يتعاطىٰ تلك السموم ، التي لا يُطيق الحياة بدونها يومًا أو بعض يوم ؛ وفني المالُ ، ولم يبقَ إلَّا مركبه الذي يركبه والشقَّة التي تحوي أسرته وبعض الكماليات ، وبعد حين باع كلَّ شيء ، وأبناؤه في حيرة من أمرهم !

ماذا يصنعون إزاء هذا الخطر الذي حلَّ بهم ؟! حاولوا كفَّه دون جدوىٰ ، وأخيرًا أحالوه إلىٰ مصحَّة لمعالجته عساها تُفيد ، وقد يكون في أبنائه من يمقُت الإدمان ولا يرضاه لنفسه ولا لغيره ، ولكن ممَّا لا مِرية فيه أن بعض القِيَم السَّلبية قد غُرِست في بعضهم مثل اللامبالاة ، وحُبِّ النفس ، وإشباع الرغبات ، إلىٰ غير ذلك .

وربَّما ارتضىٰ بعضهم ذلك السُّلوك ، وسار في نفس الدَّرب ؛ حتىٰ يتحطَّم كما تحطَّم والده ، فمن يصدُّه ، والبيئة كلُّها من حوله مُلوَّثة ؟!

لكمُ الله أيُّها الأبناء ! اعتصموا بحبله ، والجؤوا إليه ، وعليكم بالصلاة وحضور الجُمَع والجماعات ومجالس الذكر ، فالسعيد من وُعِظ بغيره ، والشقي من وُعِظ بنفسه !

ولا ريب أن قيمًا أخرىٰ قد غابت من بين كثير من الأُسَر ، وليعلم القارئ الكريم أن الحقائق مُرَّة ، والواقع أَمَرُّ ، ولكن الله – هو وحده – حسبنا ونعم الوكيل !

خاتمة الكتاب

فقد وضع الإسلام مبادئ وتعاليم قويمة للمحافظة على الأسرة المسلمة وحُسْن تربية الأولاد ، ذكر القرآن أصولها ، وفصَّلَتِ السنة المشرَّفة فروعها ، وسِيَرَ أسلافنا غنية بذلك أيضًا ، فقد أفلحوا في تربية قادة وروَّاد وعلماء أفذاذ ، وما زالت الأمَّة - بفضل الله - بخير ، فما علينا إلا أن نوجِّه أعيننا شطر المنابع ؛ لنطالع آداب الإسلام في علاقات الآباء بالأبناء ، وفي الاستئذان والدخول ، والأمر بالصلاة ، وممارسة الشعائر ، والعَدل بين الأبناء وتأديبهم ، وحسن معاملة الأبوين - الزوجين - فيما بينهما ، ومعاملة الأبناء لأبويهم ، وهذه التعاليم طالما سمعناها من أجهزة الإعلام ، ومن المربِّين والمرشدين ، ولكنَّ العلم شيءٌ ، والعمل شيءٌ آخر .

وعلى الآباء استشعار عِظَم المسؤولية التي تحمَّلوها ، وثِقَل الأمانة التي عُلِّقت في أعناقهم ، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

وهم مسؤولون ، وعن تقصيرهم مؤاخذون ، « **ألَا فكُلُّكم راعٍ ، وكُلُّكم مسؤولٌ عن رَعيَّته** »[1] .

وهنا يحسن التذكير في ختام هذا الكتاب بعد جولة من التطواف إلى

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، ح (٨٩٣) .

الحديث الشريف ، الذي يُندِّد بالآباء المقصِّرين في حقوق أبنائهم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **كفىٰ بالمرءِ إثمًا أن يُضيِّع مَن يَقُوت** »[(١)] .

فالأسرة حين تُهمِل أبناءها ؛ ولا تربِّيهم علىٰ المنهج الإسلامي القويم ، تكون قد قصَّرت فيما أمر به الله ﷻ وأمر به رسوله ﷺ ، ونتاج هذه التربية القاصرة شبابٌ مُعقَّد ، يحسُّ بالنقص ، ويَفقِد الثقة بنفسه ، لا يُبالي ولا يهتمُّ ، يسهُل التسلُّط عليه وإجراء التجارب فيه ، يفقد معاني المروءة والمواطنة والإحساس بالحقِّ العامِّ ؛ وبذلك نكون قد حقَّقنا لأعدائنا - الذين يتربَّصون بشبابنا كلَّ سوء - آمالًا غالية ، ووفَّرنا عليهم جهودًا ضخمةً يبذلونها للنَّيْل من أغلىٰ ثرواتنا وكنوزنا : إنهم أبناؤنا ، آباء الغد ، وأبطال المستقبل ، وحاملوا راية الإسلام ودعوته للعالمين .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٠) .

وبعد ... ،

فهذا جُهد المقلِّ ... ، بذلتُ فيه وسعي وطاقتي ... ، وإني أحمَد الله الذي لا تُحصىٰ نعمُه ، ولا تنقضي آلاؤه ، علىٰ إتمام هذا الكتاب ، وأسأل الله أن يُبارك فيه ... ؛ ويعُمَّ بنفعه !

وفُرِغ من كتابته ضُحىٰ يوم الأربعاء ، الموافق للتاسع من شهر شعبان - فاللهمَّ بارك لنا فيه وبلِّغنا رمضان - من عام ١٤٢٠هـ .

بخطّ ناسخه أبي أسامة

عبدُ الحميد بن صالح بن عبد الكريم الكرّانيّ

سَدَّده الله

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

• كتب التفسير[1] :

١- تفسير الطبري .

٢- تفسير ابن كثير .

٣- تفسير البغوي .

٤- تفسير زاد المسير .

٥- تفسير الشوكاني .

٦- تفسير السمعاني .

٧- أحكام القرآن لابن العربي .

٨- تفسير أبي حيَّان .

٩- تفسير الرازي .

١٠- أحكام القرآن للقرطبي .

١١- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي .

١٢- أيسر التفاسير .

(١) أعتذر عن تسجيل البيانات الخاصة بطبعات كتب التفسير ؛ لفقدان الملزمة الخاصَّة بها .

١٣- **روح المعاني .**

١٤- **روح البيان .**

١٥- **تفسير أبي السعود .**

١٦- **تفسير النسفي .**

١٧- **تفسير الخطيب الشربيني .**

١٨- **كتاب التسهيل .**

١٩- **تفسير الماوردي .**

٢٠- **تفسير البحر المحيط .**

٢١- **تفسير الكشَّاف .**

٢٢- **التفسير الكبير للرازي .**

٢٣- **تفسير المنار .**

٢٤- **تفسير السعدي .**

٢٥- **تفسير أضواء البيان .**

٢٦- **في ظلال القرآن .**

• كتب السنة وشروحها :

١- **صحيح البخاري** ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ، ط.١ (١٤١٧هـ) .

٢- **صحيح مسلم** ، لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوري ، دار المعرفة ، ط.٣ (١٤١٧هـ) .

٣- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، مؤسسة الرسالة ، (١٤٢١هـ) .

٤- **جامع الترمذي** ، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي ، دار الكتب العلمية .

٥- **سنن أبي داود** ، لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، دار الكتب العلمية ، ط.١ (١٤١٩) .

٦- **سنن ابن ماجه** ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، دار المعرفة ، ط.١ (١٤١٦هـ) .

٧- **المستدرك علىٰ الصحيحين** ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، ط.١ (١٤١١هـ) .

٨- **صحيح سنن ابن ماجه** ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصرالدين الألباني ، مكتبة المعارف ، ط.١ (١٤١٧هـ) .

٩- **صحيح ابن حِبَّان بترتيب ابن بلبان** ، لمحمد بن حِبَّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، مؤسسة الرسالة ، ط.٢ (١٤١٤هـ) ، بتحقيق : شعيب الأرنؤوط .

١٠- **إرواء الغليل** ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصرالدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط.٢ (١٤٠٥هـ) .

١١- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة ، بتحقيق : محب الدين الخطيب .

١٢- **شرح النووي علىٰ صحيح مسلم** ، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، ط.٢ (١٣٩٢هـ) .

١٣- **شرح ابن بطَّال على صحيح البخاري** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني .

• كتب اللُّغة والمعاجم :

١- **لسان العرب** ، لمحمد بن منظور ، دار إحياء التراث ، ط.٢ (١٤١٨هـ) .

٢- **معجم مقاييس اللغة** ، لابن فارس ، دار الجيل ، بيروت .

٣- **القاموس المحيط** ، للفيروز آبادي ، دار إحياء التراث ، ط.١ (١٤١٧هـ) .

٤- **مختار الصحاح** ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط. (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م) ، بتحقيق : محمود خاطر .

• كتب السِّيَر والأَعلام :

١- **سير أعلام النبلاء** ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط.١١ (١٤١٩هـ) .

٢- **الإعلام** ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط.٧ (١٩٨٦م) .

• كتب الثقافة الإسلامية :

١- **معالم الثقافة الإسلامية** ، للدكتور : عبدالكريم عثمان ، مؤسسة الأنوار ، ط.٦ (١٤١٠هـ) .

٢- **حقوق المرأة في الإسلام** ، لفضيلة شيخنا الكريم الدكتور : محمد عبدالله عرفة أثابه الله ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط.١ (١٣٩٨هـ) .

٣- **حقوق المرأة في الإسلام ، نداء للجنس اللطيف** ، للشيخ : محمد رشيد رضا ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط.٢ (١٤١٥هـ) .

٤- **دور المرأة في المجتمع الإسلامي** ، لتوفيق علي وهبة ، دار اللواء ، ط.٣ (١٤٠١هـ) .

٥- **المرأة المسلمة أمام التحديات** ، للشيخ : أحمد بن عبدالعزيز الحصين ، دار المعراج الدولية للنشر ، ط١ (١٤١٨هـ) .

٦- **الأسرة المسلمة وقضايا العصر** ، للسايح وصبري .

٧- **الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة** ، للدكتور : عمارة نجيب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط.١ (١٤٠٠هـ) .

٨- **الأسرة في الإسلام** ، للدكتور : مصطفى عبدالواحد ، دار البيارق العربي بجدة ، ط.٤ (١٤٠٤هـ) .

٩- **قصة الزواج والعزوبة في العالم** ، للوحدواني .

١٠- **مرايا نسائية ، (أحلى ما قيل في المرأة)** ، لقاسم عاشور ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط.٢ (١٤٢١هـ) .

١١- **بروتوكولات حكماء صهيون** .

• مجلَّات ودوريَّات :

١- **مجلة لواء الإسلام**، عدد السنة (٢٩) سنة ١٣٩٤ هـ، (ص : ٤٥ - ٤٦) .

٢- **مجلة التضامن الإسلامي**، مقال: مع الأسرة المسلمة، (١٢/ ٧٨- ٨٣) .

٣- **مجلة منار الإسلام** ، العدد (٤) ، سنة (١٥) ، (١٤١٠هـ) ، (١١٦ - ١٢٢) ، مقال بعنوان : « الأسرة المسلمة ، والقيم التربوية الغائبة » ، للأستاذ : عاطف شحاته زهران .

٤- **مجلة جامعة الإمام**، العدد (٢٥)، سنة (١٤٢٠هـ)، (٥٦٣، وما بعدها)، بحث بعنوان: «بنية الأسرة المسلمة وأثرها في استقرار المجتمع»، للدكتور: عبدالرزاق بن حمود الزهراني.

٥- **مجلة جامعة الإمام**، العدد (٢٥)، سنة (١٤٢٠هـ)، (ص: ٥٧٧). «الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة»، (١١٤ - ١١٥).

٦- **مجلة التضامن الإسلامي**، مجلة الحج سابقًا، السنة (٤٣)، جمادىٰ الثانية، (١٤٠٩هـ)، الجزء (١٢)، مقال بعنوان: «مع الأسرة المسلمة» (القِوامة)، بقلم الأستاذة/ عائدة الجراح، (٧٨ - ٨٣).

٧- **مجلة النور**، السنة السابعة، العدد (٧١)، محرم ١٤١٠هـ، (٦٦- ٦٧)، مقال بعنوان: لماذا يختلف الزوجان؟، كاتبته: أم عمار موسىٰ باشا.

٨- **مطالعات في الكتب والحياة**، للأستاذ: عباس محمود العقاد، بالإحالة من مجلة النور.

* * *

فهرس الموضوعات

